الدستور الروماني ٨٢٤م وأثره في الانتخابات البابوية إبان القرن التاسع الميلادي

د بدران عبد الونيس محمد

مدرس تاريخ العصور الوسطى- كلية الآداب- جامعة بني سويف

تمتعت روما منذ الانفصال عن القسطنطينية بإدارة مستقلة يرأسها البابا بنفسه، وتمتلك ممتلكات وأراضي واسعة في وسط إيطاليا؛ الأمر الذي جعلها مطمعًا للأعداء الخارجيين، وخاصة اللمبارد الذين هددوا ممتلكاتها في وسط إيطاليا من ناحية، والنبلاء الرومان الذي سعوا للسيطرة عليها من خلال التدخل في الانتخابات البابوية من ناحية أخرى. وقد عُقد تحالف بين البابوية والفرنجة عام ٧٥٤م، لمواجهة تلك التحديات الداخلية والخارجية، وقد أكد الفرنجة من خلاله التزامهم بحماية البابا، والدفاع عنه إذا طلب ذلك، في حين تعهد الباباوات بالصلاة من أجل المملكة الفرنجية. استمرت تلك الاتفاقية حقبة من الزمن، ومع كل انتخابات بابوية أو تعيين ملك فرنجي جديد، كان يتم التأكيد عليها مرة أخرى، ولعل الدستور الروماني ٨٢٤م أحد نتائج هذه الاتفاقية.

الدستور الروماني هو ميثاق صدر بالاتفاق بين لوثر الأول (Lothair I)، ملك إيطاليا (٨١٨- ٨٥٥م) في ذلك الوقت، والبابا أوجينيوس الثاني (Eugenius II) (٨٢٤- ٨٢٧م)[(١)]؛ بهدف تنظيم العلاقة بين البابوية والإمبراطورية الكارولنجية، حيث سعت الإمبراطورية الكارولنجية للسيطرة على عملية انتخاب الباباوات لتجنب تولي بابا يهدد نفوذهم في مدينة روما فيما بعد.

وسوف نتناول بالدراسة في هذا البحث، الدستور الروماني للتعرف على أسبابه، وأهدافه، والظروف التي صدر فيها، وأثره في الانتخابات البابوية من خلال المحاور التالية: الانتخابات البابوية قبل الدستور الروماني، وأسباب صدوره وأهدافه، وبنوده، والدستور بين النظرية والتطبيق، والدستور في عيون المؤرخين، وأخيرًا الخاتمة وأبرز نتائج الدراسة.

---

(١) البابا أوجينيوس الثاني: مواطنًا رومانيًا، تولى العرش البابوي عقب وفاة البابا باسكال الأول عام ٨٢٤م، وشهدت بابويته ذروة سيطرة الفرنجة على البابوية. وتوفي في أغسطس ٨٢٧م.

Cf: *Rerum Italicarum scriptores: ab anno aerae christianae quingentesimo ad millesimumquingentesimum*, Editor, Lodovico Antonio Muratori, Tom. 2, Mediolani, 1834, p. 244; McKilliam: *A chronicle of the popes from St. Peter to Pius X*, London, 1912, p. 288.

الانتخابات البابوية قبل الدستور الروماني Roman Constitution:

لم تكن هناك قواعد واضحة وملزمة لعملية الانتخابات البابوية حتى عام ٤٩٩م، عندما مَنح مجمع روما رجال الدين الحق في انتخاب الباباوات في حالة عدم تحديد، أو تزكية أحد من قبل البابا السابق(١). وكانت الانتخابات في ذلك الوقت تتم من خلال مجمع ديني يضم رجال الدين، والنبلاء الرومان في إحدى الكنائس؛ حيث يفوز المرشح الذي يحصل على أعلى عدد من الأصوات بالمنصب البابوي، وقد كان لقوات أحد الأقطاب المجتمعين –غالبًا– تأثير في العملية الانتخابية(٢).

تطورت العملية الانتخابية في القرن السابع الميلادي بشكل ملحوظ؛ حيث كان يتم تشكيل مجلس ثلاثي –عند وفاة البابا– مكون من رئيس الكهنة، ورئيس الشمامسة، وكاتب العدل الأول، لإدارة الكنيسة مؤقتًا، والدعوة للانتخابات البابوية، وكان الانتخاب يتم في غضون ثلاثة أيام بين رجال الدين، والأرستقراطية العلمانية –التي كانت تتألف آنذاك من المسئولين البيزنطيين– ورؤساء الميليشيات المحلية في كاتدرائية اللاتيران؛ لانتخاب البابا الجديد، ومن المرجح أن الفصيل الذي يسيطر على مجمع اللاتيران خلال الانتخابات المتنازع عليها، هو من يحقق الانتصار في تلك الانتخابات(٣).

استمرت تلك الأنماط الانتخابية في القرنين الثامن والتاسع الميلاديين، وبالنسبة لفئات الناخبين، يشير كتاب حياة الباباوات بشكل شبه منتظم إلى مشاركة رجال الدين، والنبلاء، والشعب في الانتخابات. ولكن هل التقوا جميعًا معًا، أم كانت هناك اجتماعات منفصلة لمختلف الفئات؟ فمن الواضح أنه تم الدمج بين النظامين، فكتاب حياة الباباوات يشير أحيانًا إلى المداولات التحضيرية لرجال الدين والنبلاء، كما حدث في عام ٨٤٧م

)1(Suchanek (D.): *Historical and Legal Milestones of Medieval Papal Elections*, in The right of exclusion and the possibilities to influence of papal elections, 2012, p. 27.

)2(Łukaszewski (M.): *Evolution of the voting system in the electoral process of the Roman Pontiff*, Advanced Research in Scientific Areas, Poznań, Poland, 2012, p. 508; Aradi (Z): *The Popes: The History of How They are Chosen*, Elected and Crowend, Oxford, 1955, p. 62.

)3(Duchesne (L.): *Le Liber diurnus et les élections pontificales au VIIe siècle*, In: Bibliothèque de l'école des chartes, 1891, p. 7; Bayer (C.): *Les Élections pontificales sous les Carolingiens au VIII et au ixe siècle, 757-885*, in Revue Historique, Neuvieme Annee, Tome Vingt- Quatrieme, Paris, 1884, pp. 51- 52; Baumgartner (F. J.): *Behind locked doors: A History of the Papal Elections*, New York, 2003, pp. 11- 12.

عندما عقد النبلاء اجتماعًا تحضيريًا قبل دفن سرجيوس الثاني Sergius II (٨٤٤- ٨٤٧م)[١]، وأحيانًا يشير إلى التجمعات الهائلة التي يشارك فيها جميع الناخبين، مثلما حدث عام ٨٥٨م عند وفاة البابا بنديكت الثالث Benedict III (٨٥٥- ٨٥٨م) [٢]، حيث اجتمع رجال الدين والنبلاء، وتعبّدوا لله مبتهلين إليه أن يختار لهم، ثم اجتمعوا مع الشعب في إحدى الكنائس، وبعد مداولة لبضع ساعات اتفقوا على اختيار نيكولاس الأول Nicolas I (٨٥٨- ٨٦٧م) [٣]. ويبدو أن هذا النظام كان هو المُتّبع بشكل شائع، فقد كان من الصعب المفاضلة بين المرشحين في تلك المحافل العظيمة التي كان لجميع الرومان حق حضورها، ومن ثمّ رؤساء الإكليروس والنبلاء -أحيانًا- يعقدون اجتماعات أولية، ثم يقدمون من وقع عليه الاختيار إلى الجمعية العامة التي صوَّتَت بالتزكية في أغلب الأحيان[٤].

ولمواجهة النفوذ المتزايد للنبلاء الرومان في الانتخابات البابوية، قرر مجمع روما ٤٩٩م استبعادهم من العملية الانتخابية والمشاركة فيها، بوصفه مرشحين أم ناخبين، واقتصر -وفقًا لذلك- حق الانتخاب والتصويت على رجال الدين الذين تولوا المناصب في المحكمة البابوية -ولم يكن من الضروري أن يكون المرشح قد رُسِّمَ كاهنًا، بل كان مجرد الوصول لرتبة شمّاس كافيًا- وهكذا أصبح قصر اللاتيران بمثابة مدرسة لإعداد نخبة من رجال الدين الذين قضوا شبابهم في خدمة قصر اللاتيران، ومؤهلون لتولي البابوية[٥].

---

(١) البابا سرجيوس الثاني: روماني الجنسية، كان قد خلع على نفسه لقب (أوس بوري هوجز سنوت) ويعني صاحب الفخامة والأنف الخنزيرية، ولكن بعد تكريسه تخلص من هذا الاسم واتخذ اسم سرجيوس الثاني، تولى العرش البابوي عقب وفاة جريجوري الرابع حتى وفاته عام ٨٤٧م.

للمزيد انظر: بدران عبد الونيس محمد: سياسة البابا ليو الرابع تجاه هجمات المسلمين على روما (٨٤٧- ٨٥٥م/ ٢٣٣- ٢٤١هـ)، حولية سمنار التاريخ الإسلامي والوسيط، العدد العاشر، القاهرة ٢٠٢٢م، هامش ص ١٥٢.

(٢) البابا بنديكت الثالث: من أصل روماني تم اختياره لتولي العرش البابوي في ١٧ يوليو ٨٥٥م، لكنه لم يكرس حتى ٢٩ سبتمبر ٨٥٥م. وتوفي في ٨ إبريل ٨٥٨م.

Cf: *A Chronology of the Byzantine Empire*, Edited by Timothy Venning, Lymington, 2005, p. 258; *The Lives of the Ninth Century Popes (Liber Pontifical*), The Ancient Biographies of Nine Popes from AD 715 to AD 817, Trans by Davis, Liverpool, 1992, p. 167.

(٣) البابا نيكولاس الأول: ولد في روما عام ٨٢٠م، ابن ثيودور، كان شابًا عندما تولى العرش البابوي، وتوفي عام ٨٦٧م، قبل أن يبلغ الخمسين من عمره.

Cf: *The Lives of the Ninth Century Popes*, p. 190; Bower (A.): *The History of the Popes: From the Foundation of the See of Rome to the Present Time*, vol. 4, London, 1890, p. 265.

)4(Bayer: *Les Élections pontificales*, pp. 53- 54.

)5(Bayer: Ibid. Cit., pp. 59- 62.

كانت عملية الانتخابات البابوية في العصور الوسطى تتكون من مرحلتين ضروريتين: الانتخاب، والتكريس؛ وفي هاتين المرحلتين نشأت العلاقة الأولى بين البابا المختار والكارولنجيين، وهي علاقة كثيرًا ما كانت صعبة وحساسة(١).

لم يقر كتاب حياة الباباوات بإرسال الباباوات إعلان انتخاباتهم إلى أباطرة الفرنجة حتى القرن التاسع الميلادي؛ وذلك لأسباب عدة، أبرزها: سعي البابوية للحفاظ على استقلالها، وعدم رغبتها في الحديث عن ممارسة تتضمن الخضوع للفرنجة، وحرصها على عدم إغضاب البيزنطيين بالتحدث صراحة عن فعل كان من الممكن أن ينظر إليه في القسطنطينية على أنه خيانة (٢)؛ لذا كان من الطبيعي أن تتجنب البابوية الحديث علانية عن إرسال نتيجة الانتخابات إلى الكارولنجيين، حتى لو كانت هذه الممارسة قد أصبحت شائعة في القرن التاسع.

أسباب صدور الدستور الروماني ٨٢٤م:

لم يكن الدستور الروماني عام ٨٢٤م هو أول محاولة للسيطرة على عملية الانتخابات البابوية من قبل الفرنجة، بل سبقه العديد من المحاولات؛ من أبرزها: قرارات مجمع روما عام ٧٦٩م، وميثاق لويس Pactum Ludovicianum عام ٨١٧م، تلك المحاولات التي كانت تهدف إلى التحكم في اختيار الباباوات، وضمان تأييدهم للكارولنجيين.

وقد عُقد مجمع ديني في روما برئاسة البابا ستيفن الثالث(٧٦٨– ٧٧٢م) Stephen III في ١٢ أبريل ٧٦٩م(٣)، وبمشاركة العديد من الأساقفة الإيطاليين والفرنجة، وأصدر مجموعة من القرارات، لعل أهمها: السماح لرجال الدين فقط بخوض الانتخابات البابوية، وعدم السماح لأي شخص سواء كان فرنجيًا أم رومانيًا بالمشاركة فيها، واقتصار دورهم فقط على الإشادة بالمرشح بعد انتخابه، والتوقيع على بروتوكول الانتخاب(٤)، وحرمان كل من يعرقل العملية الانتخابية. ورغم موافقة الملوك الفرنجة على تلك القرارات من خلال أساقفتهم الذين

)1(Bayer: Ibid. Cit., p. ٥١.

)2(Daileader (P.): *One Will, One Voice, and Equal Love: Papal Elections and the Liber Pontificalis in the Early Middle Ages*, Archivum Historiae Pontificiae, Vol. 31, 1993, p. 24.

(٣)البابا ستيفن الثالث: ولد في صقلية، لكنه جاء إلى روما في سن مبكرة. أصبح كاهنًا وخدم في الإدارة البابوية تحت حكم البابا ستيفن الثاني.

Cf: *New Catholic Encyclopedia*, Vol. 13, p. 517.

)4(Ullmann (W.): *The Growth of Papal Government in the Middle Ages*, A Study in the Ideological Relation of Clerical to Lay Power, Volume 35, London, 1970, p. 87; Walsh (M.): *The Conclave: A Sometimes Secret and Occasionally Bloody History of Papal Elections*, Oxford, 2003, p. 39.

حضروا المجمع فإن تلك القرارات افتقرت إلى نوع من الدعم من قبل السلطات العلمانية القادرة على مواجهة النفوذ العسكري المتزايد للنبلاء الرومان(١).

أما ميثاق لويس فقد صدر عام ٨١٧م بعد مباحثات بين باسكال الأولPaschal I(٨١٧- ٨٢٤م) (٢)، ولويس التقي (٧٧٨- ٨٤٠م)، وقد حررا من خلاله الشروط التي تم الاتفاق عليها بين البابا الراحل ستيفن الرابعStephen IV (٨١٦- ٨١٧م) (٣) والإمبراطور لويس التقي عام ٨١٦م(٤). وينقسم هذا الميثاق إلى قسمين: القسم الأول؛ عبارة عن تأكيد للممتلكات البابوية في وسط إيطاليا، والقسم الثاني؛ يشتمل على إقرار

)1(Noble (T.): *Louis the pious and the papacy: law, politics and the theory of empire in the early ninth century*, PhD, Michigan State University, 1974, pp. 162- 163; Mellen (R. E.): *The Papacy at The Crossroads: Byzantine Influence in The Church of Rome 795-824*, California State University, 2008, p. 26; Costambeys (M.): *Power and Patronage in Early Medieval Italy. Local Society, Italian Politics, and the Abbey of Farfa, c.700-900*, Cambridge, 2008, p. 293; Goodson (C. J.): *The Rome of Pope Paschal I Papal power*, urban renovation, church rebuilding and relic translation, 8I7-824, Cambridge, 2010, p. 268.

(٢) باسكال الأول: من أصل روماني، وتلقى تعليمه في الكنيسة البابوية. لعب دورًا في الإدارة البابوية منذ فترة مبكرة من حياته. وقد تولى العرش البابوي لمدة سبع سنوات وسبعة عشر يومًا، من عام ٨٥٨م إلى عام ٨٦٧م.

Cf: *A Chronology of the Byzantine Empire*, p. 154; *The Lives of the Ninth Century Popes*, pp. 5- 6.

(٣) البابا ستيفن الرابع: من أصل روماني، ولد في روما عام ٧٨٤. كان ابنًا لنبيل روماني يُدعى مارينوس، وتلقى تعليمه في كنيسة اللاتيران، وبدأ حياته المهنية في عهد البابا هادريان الأول، وقد تولى العرش البابوي في ٢٢ يونيو ٨١٦م عقب وفاة البابا ليو الثالث، وأرسل رسالة عقب توليه العرش البابوي للاعتذار عن تكريسه دون انتظار الموافقة الإمبراطورية.

Cf: Platina: *The Lives of the Popes*, p. 209; *Chronicle of the Popes*, p. 153; *Regesta pontificum romanorum: ab condita ecclesia ad annum post Christum natum MCXCVIII*, Edited by Philippus Jaffe, Berolini, 1800, p. 221.

)4(*Annales Regni Francorum Inde Ab A 741 Usque Ad A 829*: Qui Dicuntur Annales Laurissenses Maiores Et Einhardi, Hannoverae, 1895, pp. 145- 146; Fried (J.): *Ludwig der Fromme, das Papsttum und die fränkische Kirche, in Charlemagne's Heir New Perspectives on the Reign of Louis the Pious (814-840)*، Edited by Peter Godman and Roger Collins, Oxford, 1990 p. 248.

لويس بضرورة إجراء انتخابات بابوية حرة بمشاركة النبلاء ورجال الدين، مع استبعاد الكارلونجيين من التدخل في الانتخابات، والاقتصار على إبلاغ الإمبراطور بالانتخاب بعد التكريس(١).

يتضح مما سبق أن قرارات مجمع روما عام ٧٦٩م، وبنود ميثاق لويس عام ٨١٧م لم يشبعا رغبة الكارولنجيين في السيطرة على عملية الانتخابات البابوية؛ ولذلك صدر الدستور الروماني عام ٨٢٤م من أجل توضيح العلاقة بينهم وبين البابوية بشكل أكثر دقة، خاصة فيما يتعلق بدور الإمبراطورية الكارولنجية في الانتخابات البابوية، وبذلك تعددت الأسباب التي دفعت الإمبراطور لويس لإصدار الدستور الروماني عام ٨٢٤م، ومن أهم تلك الأسباب:

أولًا: التصدي للنبلاء الرومان، حيث سعى النبلاء الرومان للسيطرة على المنصب البابوي، خاصة بعد أن سيطرت البابوية على أراضي وممتلكات في وسط إيطاليا، وقد كان لهم مشاركة فعالة في الانتخابات البابوية، حتى تم استبعادهم عام ٧٦٩م من المشاركة فيها؛ الأمر الذي كان بمثابة صدمة للنبلاء الرومان، فقد فقدوا مكانتهم في الهيكل الدستوري لروما، وهُدّدت سلطتهم السياسية بحرمانهم من المشاركة في اختيار البابا(٢).

لم يستسلم النبلاء الرومان لقرار الحرمان من الانتخابات البابوية، ونجحوا بالفعل في إقناع الإمبراطور لويس الثاني عام ٨١٧م بالسماح لهم بالمشاركة في الانتخابات البابوية، ومن ثمّ نجحوا في السيطرة على المنصب البابوي، خاصة بعد انهيار السلطة الإمبراطورية في نهاية القرن التاسع الميلادي(٣).

ثانيًا: التمرد ضد ليو الثالث، فقد تولى البابا ليو الثالث العرش البابوي في اليوم التالي لوفاة البابا هادريان الأول عام ٧٩٥م، ولا توجد أي وثيقة تشير إلى حضور مبعوث من الملك لعملية الانتخاب، وقد تزامن صعود الكارولنجيين مع وقت تعرض فيه البابا ليو الثالث للهجوم من قبل النبلاء الرومان، مما أجبر ليو على

---

(1) *The Lives of the Eighth-Century Popes (Liber Pontifical)*، The Ancient Biographies of Nine Popes from AD 715 to AD 817, Trans by Davis, Liverpool, 1992, p. 228.

هكذا ألزم لويس نفسه بعدم التدخل في الممتلكات البابوية ما لم تتم دعوته إلى ذلك، وضمان حرية الانتخابات البابوية

Cf: Kelly (J. N.): *The Oxford Dictionary of Popes*, New York, 1986, p. 100; Ullmann (W.): *The Origins of the Ottonianum*, The Cambridge Historical Journal, Vol. 11, No. 1, 1953, p. 117; Duffy (E.): *Saints and Sinners: A History of the Popes*, London, 1997, p. 97.

(2) Noble: *Louis the pious and the papacy*, pp. 189- 190.

(3) Gaugusch: *Das Rechtsinstitut der Papstwahl*, p. 24; Noble: *The Papacy in the Eighth and Ninth Centuries*, pp. 568- 569; Goodson: *The Rome of Pope Paschal I Papal power*, p. 13; Noble (T.): *The Republic of St. Peter, The Birth of the Papal State, 680-825*, Philadelphia, 1984, p. 204.

الاستنجاد بشارلمان، وقد عزز هذا الوضع المؤسف للبابا وضع الملك الفرنجي في روما، كما أن تتويج شارلمان عام ٨٠٠م إمبراطورًا أكد هذا الوضع. وأصبح منذ ذلك الوقت هناك قوتان في روما: البابا والإمبراطور، ومع ذلك لم يفكر الإمبراطور في استبدال البابا بوصفه رئيسًا للإدارة الرومانية، بل ترك له حق اختيار المسئولين، واحتفظ بالحق في السيطرة والاستئناف، والذي كان قد مارسه عن طريق إرسال المبعوثين الملكيين إلى روما، كما هو الحال في بقية الإمبراطورية(١).

ثالثًا: الميراث الإمبراطوري، لم يحرر سقوط الإمبراطورية الرومانية عام ٤٧٦م الانتخابات البابوية من قاعدة الموافقة الإمبراطورية– التي تنص على ضرورة حصول كل بابا منتخب على موافقة الإمبراطور على الانتخاب(٢)– حيث طالب أدواكر (٤٧٦– ٤٩٣م)"Odoacer ، وملوك القوط الشرقيينOstrogoth والبيزنطيون بعد استعادة نفوذهم في إيطاليا بالحق في الإشراف على الانتخابات البابوية، إما من خلال الإمبراطور البيزنطي نفسه، أو الأكسارخExarch في رافنا(٣).

أدى تراجع السلطة البيزنطية في إيطاليا خلال القرن التاسع الميلادي إلى تحرر البابوية من التدخلات المتزايدة للسلطات البيزنطية في اختيار الباباوات(٤)، ولكن لم يستمر ذلك الأمر طويلًا؛ حيث طلب البابا ستيفن الثاني الدعم من الفرنجة ضد اللمبارد في إيطاليا عام ٧٥١م، وعقد مباحثات عديدة بينهما انتهت بعقد معاهدة تحالف بين الطرفين عام ٧٥٤م(٥). كانت رحلة ستيفن إلى مملكة الفرنجة هي الرحلة الأولى للبابا باتجاه الغرب،

)1(*The Lives of the Eighth-Century Popes*, p. 228; Halphen (L.): *Études sur l'administration de Rome au moyen âge (751-1252)*، Paris, 1907, p. 2. Duchesne (L.): *The Beginnings of the Temporal Sovereignty of the Popes: A. D. 754-1073*, London, 1907, pp. 123- 124; Glover (D.): *The Touch of Evil: The Politics of Corruption in Frankish Kingdoms 450-987*, Doctor of Philosophy, Purdue University, Indiana, 2011, p. 239.

)2(Łukaszewski: *Evolution of the voting system*, p. 509.

)3(Pham (J. P.): *Heirs of the Fisherman: Behind the Scenes of Papal Death and Succession*, Oxford, 2004, pp. 49- 50. Gaugusch: *Das Rechtsinstitut der Papstwahl*, p. ١٧; Ekonomou (A. J.): *Byzantine Rome and the Greek Popes Easter Influences on Rome and the Papacy from Gregory the Great to Zacharias*, A.D. 590-752, New York, 2007, p. 43.

)4(Ullmann (W.): *A Short History of the Papacy in the Middle Ages*, New York, 2003, pp. 46- 47; Bellitto (C. M.): *A Companions to the Medieval Papacy*, Boston, 1983, p.30.

)5(Noble (T. F.): "*The Papacy in the Eighth and Ninth Centuries*," in Cambridge Medieval History, Volume 2, New York, 1995, p. 567- 568; Kurtz (P.): *Church History*, Vol. 1, New York, 1889, pp. 484- 485.

وهي رحلة ترمز إلى نهاية حقبة التدخل البيزنطي، وبداية حقبة جديدة حل فيها الكارولنجيون محل البيزنطيين، وسعوا للعب الدور نفسه الذي لعبه البيزنطيون للسيطرة على الانتخابات البابوية(١).

وقد تطور التدخل الإمبراطوري في الانتخابات البابوية على مدى قرون، حيث انتقل من دور الحاكم والحارس للسلام العام خلال الانتخابات المتنازع عليها في عهد الأباطرة القدماء، وملوك القوط قبل جستنيان Justinian (٥٢٧- ٥٦٥م)، إلى ضرورة حصول البابا المنتخب على موافقة الإمبراطور، أو الأكسارخ الذي ينوب عنه قبل أن تتم الرسامة(٢).

رابعًا: الرغبة في تحديد الحقوق الفرنجية في روما، لم يسع الفرنجة إلى تحديد حقوقهم في روما منذ تحالفهم مع البابوية في منتصف القرن الثامن الميلادي، إلا عام ٨١٧م من خلال ميثاق لويس، الذي ثبت أنه بحاجة إلى مزيد من الإجراءات لتوضيح تلك العلاقة؛ ولذا صدر الدستور الروماني عام ٨٢٤م، الذي يعد تصحيحًا لميثاق لويس، ومعالجًا لأوجه القصور فيه(٣).

خامسًا: مشكلة باسكال، يعد إرسال لوثر إلى روما عام ٨٢٢م من الأعمال التي مهدت الطريق لصدور الدستور الروماني عام ٨٢٤م، حيث أثار ظهوره في روما عام ٨٢٢م أزمة بلغت ذروتها في عام ٨٢٣م(٤)، عندما جاءت الأخبار المفجعة التي مفادها أن ثيودور Theodore واضع الأسماء وصهره ليون Leon قد أصيبا بالعمى بسبب تعذيبهما من قبل رجال البابا، ثم نفذ فيهما حكم الإعدام؛ بسبب إخلاصهما وولائهما للإمبراطور لوثر الأول، وكان البابا باسكال الأول هو مَنْ نَفّذ حكم الإعدام(٥).

وقد انزعج الإمبراطور لويس التقي بشدة لعملية القتل التي حدثت في روما، وأمر لوثر بالانتقال إليها للتحقيق في القضية، ولكن وصلت رسل البابا باسكال الأول إلى الإمبراطور قبل أن يتحرك لوثر؛ ليؤكدوا له

)1(Ullmann: *A Short History of the Papacy*, p. 48.

)2(Duchesne: *The Beginnings of the Temporal Sovereignty of the Popes*, pp.132- 133..

)3(Noble: *The Republic of St. Peter*, pp. 308- 309.

)4(*New Catholic Encyclopedia*, Vol. 10, p. 915.

)5(*Rerum Italicarum scriptores*, pp. 207- 208; *Son of Charlemagne*: A Contemporary Life of Louis the Pious, trans by Allen Cabaniss, Syracuse, 1961, p. 76; *Capitularia Regum Francorum*, MGH, vol. I, ed. A. Boretius, Hannoverae,1883, p. 322.

إيمان عبد الحميد فرج: الأحوال السياسية للإمبراطورية الكارولنجية في عهد خلفاء شارلمان (٨١٤- ٩٨٧م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة بنها، ٢٠١٥م، ص ٧٢.

براءة البابا من التهم الموجهة إليه، وبعد أن استمع لويس التقي إليهم[١]، أرسل القضاة الإمبراطوريين إلى روما في يوليو أو أغسطس ٨٢٣م، لكنهم لم يتمكنوا من إتمام التحقيق بسبب رفض البابا باسكال الخضوع لحكمهم، ولجوئه إلى قسم التطهير بحضور المندوبين، والشعب الروماني في قصر اللاتيران، وبمشاركة أربعة وثلاثين أسقفًا وخمسة كهنة، ورفض تسليم الجناة، معللًا بأن الخونة يستحقون الموت[٢].

عجز الإمبراطور لويس التقي عن تعقب حقيقة هذه الحادثة، وخاصة عندما أكد السفراء الذين أرسلهم البابا مرة أخرى إليه بأن الرجال الذين قتلوا كانوا خَونَةً، ويستحقون الموت[٣]. وقد أضطر الإمبراطور –رغم إرسال الرسل إلى روما مرة أخرى– إلى ترك الأمر بسبب مرض البابا ثم وفاته في ١٠ أبريل ٨٢٤م [٤]، ولم يرغب الرومان في دفنه في كنيسة القديس بطرس، لأنهم ما زالوا يعتقدون أنه مذنب بارتكاب جريمة القتل التي وجهت إليه.[٥]

)1(*Annales Regni Francorum*, pp. 161– 162; *Royal Frankish Annals and Nithard's Histories*, Trans. by Bernhard Walter Scholz with Barbara Rogers, New Jersy, 1970, pp. 113– 114.

)2(McKilliam: *A chronicle of the popes*, p. 154; Gregorovius (F.): *History of the City of Rome in the Middle Ages*, Volume 3, London, 1895, p. 47; Barry (W. F.): *The Papal Monarchy; From St. Gregory the Great to Boniface VIII (590–1303)*، London, 1902, p. 18.

)3(*Royal Frankish Annals and Nithard's Histories*, p. 114; Duckett (E. S.): *Carolingian Portraits: A Study in the Ninth Century*, Michigan, 1962, p. 32; Prichard (J. C.): *The Life and Times of Hincmar, Archbishop Of Rheims*, London, 1849, pp. 29– 30.

)4(Milman (H. H.): *History of Latin Christianity; including that of the popes to the pontificate of Nicolas V*, Vol. 2, New York, 1861, p. 529.

إيمان عبد الحميد فرج: الأحوال السياسية للإمبراطورية الكارولنجية في عهد خلفاء شارلمان (٨١٤– ٩٨٧م)، ص ٧٢.

رغم محاولات البابا المتكررة لتبرئة نفسه من حادثة القتل، لكن الرومان رفضوا دفنه في كنيسة القديس بطرس بعد وفاته، لاعتقادهم بأنه مذنب بجريمة القتل.

Cf: *Charlemagne and Louis the Pious*: lives by Einhard, Notker, Ermoldus, Thegan, and the Astronomer / trans by Thomas F.X. Noble, Pennsylvania, 2009, p. 207.

)5(*Charlemagne and Louis the Pious*, p. 207; McKilliam: *A chronicle of the popes*, p. 155; *Son Of Charlemagne*, p. 76;

وقد كشفت حادثة قتل ثيودور وليون عن حالة في روما تتطلب إصلاحًا عاجلًا؛ ولهذا قرر نجل لويس التقي، لوثر الأول، التدخل بشكل حاسم في الحياة السياسية لروما، وذلك بإصدار الدستور الروماني في عام ٨٢٤م(١).

سادسًا: الانتخابات المزدوجة عام ٨٢٤م، استمر الصراع الناتج عن جرائم القتل – سالفة الذكر– بين الفصائل في روما في العام التالي لوفاة البابا، فقد نشب صراع بين النبلاء والعامة على انتخاب البابا؛ حيث رشح كل فصيل مرشحًا مختلفًا، وفي النهاية نجح النبلاء في تعيين مرشحهم على العرش البابوي(٢)، وذلك بدعم الراهب الشهير والا Wala، مستشار لوثر الذي كان يتطلع إلى استخدامه في الإصلاحات التي كانت الإمبراطورية تعتزم على تنفيذها في روما(٣).

عندما علم الإمبراطور لويس التقي بما حدث في الانتخابات البابوية، أرسل ابنه لوثر الأول إلى إيطاليا، وقد تعددت الأسباب التي دفعته إلى ذلك، ومنها: السيطرة على الوضع المضطرب، وتحديد العلاقة بين البابا والإمبراطور، ودعم أنصار الإمبراطورية، وإعادة ممتلكاتهم التي تمت مصادرتها من قبل البابوية، ودعم البابا المنتخب، والحفاظ عليه(٤).

ووفقًا لذلك انطلق لوثر الأول إلى إيطاليا بعد منتصف أغسطس عام ٨٢٤م، حيث استقبله البابا أوجينيوس الثاني بكل ترحاب في سبتمبر ٨٢٤م، وبعد عتاب البابا أوجينيوس على ما تعرض له أنصار الإمبراطورية من اضطهاد، وقتل، ومصادرة للممتلكات، عقد محكمة نجح من خلالها في إجبار الخزانة البابوية

)1(Steck (A. N.): *The Concept of the Populus in Early Medieval Rome*, Doctor of Philosophy, University of Iowa, 2019, p. 95; Mann: *The Lives of The Popes*, p. 138.

)2(*Annales Regni Francorum,* p. 164; *Rerum Italicarum scriptores*, pp. 288- 289; McKilliam: *A chronicle of the popes*, p. 156; *Capitularia Regum Francorum*, MGH, vol. I, p. 322; Dollinger (J.J.): *A History of the Church*, London, 2013, p. 32.

)3(Baronio Caesare: *Annales Ecclesiastici*, Tomus XIV (820- 863)، Lucae, 1868, p. 56; Regesta pontificum Romanorum, pp. 320- 321; Marx (G. W.): *Louis I (The Pious, or "Le Debonnaire"): A Personal Reassessment of the Man through the Events in his Reign*, Doctor of Philosophy at New York University, June, 1971, p. 216; Noble (T.): *The Place in Papal History of the Roman Synod of 826*, Church History, Vol. 45, No. 4, Dec. 1976, p. 436.

)4(*Royal Frankish Annals*, pp. 115- 116; Gregorovius: *History of the City of Rome*, p. 56.

على تسليم جميع الممتلكات المصادرة من الرومان، ونفي القضاة الظالمون إلى الأراضي الفرنجية[١]، وقبل مغادرة روما أصدر الدستور الذي أسس الإشراف الإمبراطوري على إدارة روما[٢].

أهداف الدستور الروماني:

في الحقيقة هناك عدة أهداف صدر بموجبها الدستور الروماني عام ٨٢٤م، ويمكن تلخيصها في ثلاثة عناصر رئيسة، وهي: الحماية الإمبراطورية، والإشراف على الانتخابات البابوية، والحقوق الإمبراطورية.

الحماية الإمبراطورية: تعد الحماية الإمبراطورية للكنيسة الرومانية هي الهدف الموحد لجميع الوثائق الإمبراطورية الثلاثة الصادرة في عام ٨١٧م، وعام ٨٢٤م، وعام ٩٦٢م[٣]، تلك الحماية التي كان هدفها توفير حماية أكثر شمولًا للجميع داخل الدولة البابوية، بما في ذلك حماية البابوية من مكائد الطبقة الأرستقراطية، وحماية ممتلكات الكنسية الرومانية[٤].

الإشراف على الانتخابات البابوية: سعى الإمبراطور لويس التقي للسيطرة على الانتخابات البابوية من خلال منع الفصائل الرومانية من ممارسة أي تأثير على انتخاب البابا، وعمل على الحفاظ على النظام البيزنطي في السيطرة عليها من خلال قاعدة الإخطار مع الاختلاف في المعني؛ حيث تم الإخطار لا للحصول على التأكيد على البابا المنتخب، ولكن للحصول على حماية الكنيسة من قبل الأباطرة[٥].

)1(*Annales Regni Francorum*, p. 164*; Royal Frankish Annals and Nithard's Histories*, p. 117; *Son of Charlemagne*, p. 78; Capitularia Regum Francorum, MGH, vol. I, p. 322.

)2(Duffy: *Saints and Sinners*, p. 97; Noble: *Louis the pious and the papacy*, p.220.

(٣)ميثاق أوتو: هو مرسوم صادر عن الإمبراطور أوتو الأول في ١٢ أبريل ٩٦٢م، وينص على تأكيد تبرعات بيبين وشارلمان للكنيسة، وإضافة المزيد من الأراضي في وسط إيطاليا للكنيسة، كما يتعهد الميثاق بالدفاع عن حقوق الكنيسة وممتلكاتها، والامتناع عن التدخل في الشئون الداخلية للكنيسة، ويعيد الميثاق أيضًا التأكد على القواعد القديمة التي تنص على إجراء انتخابات بابوية حرة بشرط حصول المرشح المنتخب على تصديق الإمبراطور وإلزامه بقسم الولاء للإمبراطور.

Cf: Pham (J. P.): *Heirs of the Fisherman*: Behind the Scenes of Papal Death and Succession, Oxford, 2004, p. 55.

)4(Ullmann (W.): *The Origins of the Ottonianum*, The Cambridge Historical Journal، Vol. 11, No. 1, 1953, p. 114; Noble: *The Republic of St. Peter*, p. 320.

)5(Ullmann: *Ibid. Cit.*, pp. 115- 116.

الحقوق الإمبراطورية: عمل الدستور الروماني على توضيح الحقوق الإمبراطورية في روما، وفرضها على البابا أوجينيوس الثاني، من خلال إقامة علاقة دستورية بين البابوية والإمبراطورية، من شأنها تجنب التجاوزات التعسفية، والنزاعات التي حدثت في عهد باسكال الأول(١).

بنود الدستور الروماني:

قبل الشروع في تحليل بنود الدستور، من الضروري التساؤل عن الشخص الذي أصدر الدستور، أو بعبارة أخرى مَنْ المسؤول عن إصدار الدستور الروماني ٨٢٤م؟ يخبرنا المؤرخ نوبل على هذا التساؤل بأن هناك انقسامًا بين المؤرخين حول المسؤول عن إصدار الدستور الروماني، ما بين لوثر، ووالا، ولويس التقي، ويفند تلك الآراء قائلًا: "يتعارض الرأي الأول مع ما ورد في المصادر، لأن لوثر أُرسل إلى إيطاليا بتكليف من والده لويس؛ وبالتالي فإن إصدار الدستور لم يكن بمبادرة خاصة منه، ولا يمكن أن يكون قد صدر عكس رغبات لويس، أما مَنْ ينسب هذا الدستور إلى والا مستشار لويس، فمن المؤكد أن تقارير والا كانت مفيدة للويس التقي لعدم وجوده في إيطاليا، ورغم ذلك من الصعب أن يصدر والا هذا الدستور، وبالتالي يرى نوبل أن لويس هو من أصدر هذا المرسوم، الذي يعكس وعيه المتزايد بالطبيعة الحقيقية للحياة الاجتماعية والسياسية في روما، واستجابته للمشاكل التي لم يستطع توقعها في عامي ٨١٦م و٨١٧م(٢).

ويتألف الدستور الروماني من تسعة بنود تتناول قضايا مهمة تبدأ من الانتخابات البابوية إلى السيادة في الدولة البابوية، ويمكن تلخيصها فيما يلي؛ أولًا: الحماية الإمبراطورية، وثانيًا: الحقوق الفردية، وثالثًا: اختيار الموظفين، ورابعًا: تنظيم الوصاية، وخامسًا: الانتخابات البابوية(٣).

وقد منح البند الأول الحماية لجميع الأشخاص الذين يتمتعون بالحماية الخاصة للبابا والإمبراطور، ومنع إعدام أي شخص يتمتع بتلك الحماية، كما فرض طاعة البابا، وأدواقه، وقضاته على الجميع(٤). ويبدو

)1(Kelly: *The Oxford Dictionary of Popes*, p. 101; Goodson: *The Rome of Pope Paschal I Papal power,* p. 33.

)2(Noble: *Louis the pious and the papacy*, pp. 178- 179; Mckitterick (R.): *The Frankish Kingdoms Under the Carolingians 751-987*, London, 1983, p. 133.

)3(McKilliam: *A chronicle of the popes*, p. 156; Duchesne: *The Beginnings of the Temporal Sovereignty of the Popes*, p.131.

)4(*The Lives of the Ninth-Century Popes*, p. 33; Mathew (S): *Select Medieval Documents and Other Material Illustrating The History of Church and Empire 754- 1254*, New York, 1892, 1900, p. 14- 15; *Capitularia Regum Francorum*, p. 323; Morrall (J. B.): *Church and State Through the Centuries: A Collection of Historic Documents*, New York, 1967, pp. 13- 14.

أن الهدف من هذا البند هو حماية رعايا الإمبراطورية في روما من السلطات البابوية التي كانت تسيء استخدام عقوبة الإعدام في الماضي، وتستخدمها في إرهاب أنصار الإمبراطورية[١].

ولم تقتصر الحماية التي سعى الدستور الروماني لتوفيرها على حماية الأشخاص فقط، بل سعى – أيضًا– لحماية الممتلكات من خلال البند الثاني، الذي دعا إلى الحفاظ على الحقوق الفردية؛ سواء من خلال منع الاعتداء على الممتلكات البابوية في حياة البابا، أو عند وفاته، أم من خلال منع الاعتداء على الممتلكات التي تم الاستيلاء عليها من قبل الأفراد الذين يدعون أنها منحت لهم من قبل البابا[٢]، ويبدو أن الهدف من هذا البند هو الحفاظ على الممتلكات بما في ذلك الممتلكات البابوية من سيطرة النبلاء الرومان.

يعد البند الثالث من بنود الدستور الروماني أهم بنوده، حيث سعى الفرنجة من خلاله إلى السيطرة على الدولة البابوية من خلال المشاركة في اختيار الباباوات، فقد لخص البند الثالث اللوائح الجديدة التي تحكم عملية انتخاب البابا الجديد، التي شملت ما يلي:

- عودة حق التصويت في الانتخابات البابوية إلى الرومان بما في ذلك النبلاء.
- إجراء انتخابات بابوية قانونية وعادلة.
- مراجعة عملية الانتخاب من قبل الإمبراطور قبل التكريس.
- أداء البابا قسم الولاء للإمبراطور.
- فرض عقوبات رادعة لكل من يعيق العملية الانتخابية من خلال نفي مثيري الشغب [٣].

وهكذا لم يمنح الدستور الأباطرة الكارولنجيين تأثيرًا قانونيًا حاسمًا في الانتخابات البابوية، والدليل على ذلك أنه رغم حقهم في التحقيق في صحة الانتخابات البابوية، لم يكن لهم الحق في التدخل فيها أو رفضها[٤].

وقد تميز بند الانتخابات في الدستور الروماني ببعض السمات التقليدية والمبتكرة؛ فمن السمات التقليدية: مشاركة جميع الرومان في العملية الانتخابية مع إضافة عقوبة إمبراطورية لكل من يتدخل بشكل غير قانوني في الانتخابات، إضافة إلى التزام الكارولنجيين بعدم التدخل في الانتخابات، والاكتفاء بالحصول على الموافقة

)1(Duchesne: *The Beginnings of the Temporal Sovereignty of the Popes*, p.131.

)2(Mathew: *Select Medieval Documents and Other Material Illustrating*, p. 15; *Capitularia Regum Francorum*, MGH, vol. I, p. 323; Bower: *The History of the Popes*, p. 205.

)3(*The Lives of the Ninth-Century Popes*, p. 34; Mathew: *Ibid. Cit.,* p. 15; Baronio: *Annales Ecclesiastici,* p. 57; *Capitularia Regum Francorum*, MGH, vol. I, p. 323.

)4(Gaugusch: *Das Rechtsinstitut der Papstwahl*, p. 33.

قبل التكريس، ومن السمات المبتكرة في هذا البند –الذي يعد أهم إجراء تم اتخاذه في عام ٨٢٤م– ضرورة أداء البابا الروماني قسم الولاء للإمبراطور الفرنجي قبل التكريس(١).

كما أنشأ الدستور الروماني من خلال البند الرابع سلطة مشتركة للإشراف على روما تتمثل في تعيين مبعوثٍ بابويٍّ معينٍ من قِبل البابا، ومبعوثٍ إمبراطوريٍّ معينٍ من قِبل الإمبراطور مهمته تقديم تقريرٍ سنويٍّ للإمبراطور عن سلوك البابا ومسؤولياته في روما، والاستماع إلى شكاوى كلّ مَنْ ظُلِمَ، وتحويلها إلى البابا للفصل فيها، وفي حالة رفض البابا يتم إخطار الإمبراطور بذلك؛ لإرسال مندوبين للفصل في تلك القضايا(٢).

سرعان ما أصبح المبعوث الإمبراطوري محكمة ابتدائية للفصل في القضايا التي يجب أن تفصل فيها المحاكم الرومانية العادية، أو المبعوث البابوي. ومن أبرز القضايا التي فصل فيها المبعوث الإمبراطوري في روما قضية دير فارفا Farfa عام ٨٢٩م(٣)، التي اتهم من خلالها الدير البابوية بالاستيلاء على ممتلكاته

)1(Noble: *Louis the pious and the papacy*, p.229; Noble: *The Republic of St. Peter*, p. 313.

)2(*The Lives of the Ninth-Century Popes*, p. 34; Mathew: *Select Medieval Documents*, p. 15; *Capitularia Regum Francorum*, MGH, vol. I, p. 323.

المبعوث: تعد مؤسسة المبعوث من أهم المؤسسات الفرنجية، حيث كان يتم تعيينه من قبل الملك للقيام بمهام محددة في منطقة معينة. وكان المبعوث يتلقى التعليمات شفهيًا أو كتابيًا، وكان يقسم على الولاء للإمبراطور، وينقسم المبعوث من حيث المهام الموكلة إليه إلى قسمين: أولًا: المبعوث الخاص، وهو المكلف بمهمة محددة؛ مثل التحقيق في قضايا معينة تم توجيهها إلى الملك، أو اغتصاب حقوق الملك وممتلكاته، ومن الممكن منح هذا التفويض الخاص لمبعوث واحد أو أكثر، وثانيًا: المبعوث الدائم، وهو الذي حصل من الملك على تفويض عام بالتوجه إلى منطقة معينة لإدارة العدالة وتحصيل الغرامات والفصل في القضايا المتعلقة بملكية الأرض، والأحوال الشخصية للأحرار، والسرقة.

Cf: Ganshof (F. L.): *Frankish Institutions under Charlemagne*, New York, (1968)، pp. 23- 25.

للمزيد من التفاصيل عن المبعوث الملكي ومهامه، أنظر: عمر عبد المنعم إمام: "المبعوث الملكي" دراسة في أحد الأنظمة الإدارية في الإمبراطورية الكارولنجية في القرن التاسع الميلادي، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية المصرية، العدد التاسع، بني سويف، أكتوبر ٢٠٢٢م، ص ص ٢٢٤– ٢٢٥.

(٣) دير فارفا: دير فارفا هو دير بينديكتي يقع في فارفا. تأسس في عام ٥٥٤م، وتمتع بحماية الملوك اللمبارد والكارولنجيين. وقد منح الملوك الدير العديد من الامتيازات، مثل الحصانة والممتلكات، وفي عام ٨١٥م أعفى لويس التقي الدير من أي رسوم أو ضرائب. واعترف البابا ستيفن الرابع بجميع امتيازات الدير وممتلكاته، ولكن فرض جزية سنوية عليه عبارة عن عشرة صولدي ذهب قبل وفاته. ويبدو أن الدير تحرر من هذا الالتزام؛ لأنه لم يرد له أي ذكر في عهد البابا باسكال الأول، وقد سعى الباباوات من وقت لآخر لتقليل الامتيازات الممنوحة للدير.

Cf: Gregorovius (F.): *History of the City of Rome in the Middle Ages*, Volume 3, London, 1895, pp. 44- 45.

بشكل غير قانوني. وبعد أن تم إجراء التحقيق اللازم، إصدر الحكم لصالح الدير[١]، وكذلك محاكمة ثلاثة قتله لمندوب إمبراطوري في عهد البابا ليو الرابع Leo IV(٨٤٧- ٨٥٥م) [٢]، وأخيرًا محاكمة جراتيال ودانيال عام ٨٥٥م. وفي الحقيقة لم يكن لهذه المحاكمة أن تحدث مُطلقًا، لولا الطموحات الإمبراطورية في القيام بدور حماية المصالح الإمبراطورية في الدولة البابوية[٣].

دعا الإمبراطور من خلال البند الخامس كل قاطني روما للإعلان عن القانون الذي يرغبون العيش والحكم بموجبه، مع ضمان السلطة الإمبراطورية لتنفيذ ذلك. وهكذا ألغى هذا البند الطابع الإقليمي للقانون الروماني، وأفسح المجال أمام الطابع الشخصي للقانون الجرماني، الذي منح القانون اللمباردي، والسالي حق الاستخدام في روما والأراضي المحيطة بها[٤]. وواضح أن الهدف من هذا البند هو رغبة الإمبراطور في تقوية العنصر الجرماني في روما وتأمينه، وتحقيق الانسجام، والعدل، والمساواة بين العنصر الروماني، والعنصر غير الروماني في الإمبراطورية، وذلك من خلال السماح للشعب باختيار القانون الذي يرغبون العيش بموجبه.

وقد ترتب على هذا البند عدة استنتاجات، من أهمها؛ كسر الطابع الإقليمي للقانون الروماني لصالح مبدأ الشخصية الجرمانية للقانون، وفصل الفرنجة، واللمبارد، وغيرهم من غير الرومان من الولاية القضائية العادية للمحاكم الرومانية، وساوى بينهم وبين الرومان في الدولة البابوية، من خلال منح كل الأشخاص حق الحصول على عرض عادل لقضاياهم أمام المحاكم[٥]، ومن ثمّ كان هذا البند بمثابة خطوة مهمة في اتجاه تحقيق العدل، والمساواة بين الناس في روما.

)1(Noble: *Louis the pious and the papacy*, pp.234- 235.

(٢) البابا ليو الرابع: ولد ليو الرابع في روما، كان ابنًا لنبيل روماني يدعى رادوالدو Radualdo. أرسله والده إلى دير القديس مارتن بالقرب من روما من أجل دراسة الكتاب المقدس، وقد تميزت شخصيته بالعديد من الصفات؛ مثل الكرم، والتواضع، وحب الفقراء، والشجاعة، وعشق العدالة.

للمزيد: بدران عبد الونيس محمد: سياسة البابا ليو الرابع تجاه هجمات المسلمين ضد روما، ص ١٥١.

)3(Carol (J.): *Pope Nicholas I and the First of Papal Independence*, PhD, Faculty of Political Science, Columbia University,1980, pp. 132- 133.

)4(*The Lives of the Ninth-Century Popes*, pp. 33- 34; Mathew: *Select Medieval Documents*, pp. 15- 16; Baronio: *Annales Ecclesiastici*, p. 57; *Capitularia Regum Francorum*, MGH, vol. I, p. 323.

)5(Noble: *Louis the pious and the papacy*, p.239.

منح الدستور الروماني من خلال البند السادس المبعوثين الإمبراطوريين سلطة الاسترداد المباشر للأراضي الكنسية التي تم الاستيلاء عليها بطريقة غير شرعية، كأنها بترخيص بابوي، وبالتالي الحفاظ على تلك الممتلكات(١).

أما البند السابع من الدستور الروماني فقد كان موجهًا بشكل مباشر للقضاء على أعمال العنف داخل المجتمع الروماني في المستقبل، والعمل على التحقيق في أعمال العنف التي تمت قبل ذلك وفقًا لقانون كل فئة من فئات المجتمع الروماني(٢).

كما منح البند الثامن الإمبراطور سلطة واسعة للتدخل في الشؤون البابوية، من خلال قيامه بإجراء متابعة فردية لجميع المسئولين البابويين، ولهذا يجب أن يمثل أمامه جميع المسئولين الذين لديهم سلطة قضائية مرة كل سنة؛ لكي يعرف أسماءهم وعددهم، ويوجه تحذيرًا لكل منهم فيما يتعلق بالخدمة الموكلة إليهم، على أن تظلّ أسماؤهم إليه، وأعدادهم المسجلة في حفظ الموظف الإمبراطوري(٣). ويشير هذا البند إلى أن الإمبراطور كان يسعى إلى فرض سيطرته على الكنيسة، وأن رغبته في معرفة أسماء الموظفين وأعدادهم، خاصة الذين لديهم سلطة قضائية من أجل السيطرة عليهم، وضمان ولائهم له.

وأخيرًا أنهى لوثر الدستور الروماني بالبند التاسع الذي يدعو من خلاله كل من يرغب في الحصول على حماية الإمبراطور والبابا، أن يطيعوا البابا، ويوقروه في كل شيء"(٤)، وذلك لتوفير حماية كاملة للمجتمع في الدولة البابوية، ولضمان حماية البابا ضد مسئوليه(٥).

ومن الجدير بالذكر أن الدستور الروماني بدأ بنوده بالحماية ونهاها بالحماية أيضًا، الأمر الذي يدل على أهمية الحماية الإمبراطورية لكل عناصر الدولة البابوية؛ بداية من البابوية أعلى سلطة فيها، إلى حماية جميع الرعايا، وخاصة الرعايا الإمبراطوريين من ظلم البابا واضطهاده.

واختتم الإمبراطور لوثر الدستور الروماني بقَسَمٍ طلب فيه من جميع الرومان الإخلاص له في كل شيء، وإجراء انتخابات قانونية وعادلة(٦)، حيث جاء نص القسم كالتالي: "أعد الله القدير، والأناجيل الأربعة

)1(Mathew: *Select Medieval Documents*, p. 16; Mann*: The Lives of The Popes*, p. 164.

)2(Mathew: *Ibid. Cit.*, p. 16; Mann: *Ibid. Cit.*, p. 164; *Capitularia Regum Francorum*, MGH, vol. I, p. 324; Noble: *The Republic of St. Peter*, p. 310.

)3(*The Lives of the Ninth-Century Popes*, p. 34; *Mathew: Ibid. Cit.*, p. 16; Baronio: *Annales Ecclesiastici*, p. 57; *Capitularia Regum Francorum*, MGH, vol. I, p. 324.

)4(Mathew: *Ibid. Cit.*, p. 16; *Capitularia Regum Francorum*, MGH, vol. I, p. 324.

)5(*The Lives of the Ninth-Century Popes*, p. 34.

)6(Noble: *The Republic of St. Peter*, p. 314; Noble*: Louis the pious and the papacy*, p.223.

المقدسة، وصليب يسوع المسيح، وجسد بطرس المبارك أمير الرسل، أنه اعتبارًا من هذا اليوم، وكل الأيام القادمة، أنني سأكون أمينًا للأباطرة لويس ولوثر، بقدر ما تسمح به قوتي ومعرفتي، دون خداع أو نية شريرة.... ولن أوافق بقدر ما تسمح به قوتي ومعرفتي، بأن يتم انتخاب البابا لهذا الكرسي الرسولي الروماني بطريقة غير قانونية، وأنه لن يتم تكريسه حتى يؤدي هذا القسم في حضور المبعوث الإمبراطوري والشعب، جنبًا إلى جنب مع القسم الذي وضعه البابا أوجينيوس في كتاباته بنفسه للحفاظ على كل هذه الأشياء"(١).

بالنظر إلى هذا القسم يمكن تقسيمه إلى ثلاثة أجزاء رئيسة، وهي: قَسَمُ الرومان بالولاء للويس ولوثر، وقَسَمُهم بعدم الإخلال بالانتخابات البابوية، وتعهدهم بعدم السماح للبابا المنتخب بالتكريس حتى يُقسم القَسَمَ الذي أقسمه البابا أوجينيوس الثاني من أجل الحفاظ على الجميع (٢).

لم يكن هذا القَسَم بمثابة تأكيد على سلطة الإمبراطور لوثر فحسب، بل تأكيدًا على أهمية أن تتم الانتخابات البابوية بصورة قانونية وعادلة.

ويعلق المؤرخ نوبل على القَسَم قائلًا "انقسم العلماء تجاه هذا القَسَم إلى فريقين: الفريق الأول يشكك في صحة هذا القسم، ويراه تزويرًا إمبراطوريًا لاحقًا، بينما يراه الفريق الآخر جزءًا من اتفاقية ثانية تم التصديق عليها بين البابا والإمبراطور عام ٨٢٥م"، ويعتقد الفريق الأول أن الهدف من الدستور هو توفير حماية إمبراطورية فعالة للبابوية، وأن تحويل البابا لأحد الرعايا الإمبراطوريين لم يكن وسيلة جيدة للتأمين، بينما يؤكد الفريق الثاني صحة القسم، ويدلل على ذلك من خلال المصادر كقسم البابا جريجوري الرابع Gregory IV(٨٢٧– ٨٤٤م) (٣)، وليو الرابع، ومعاندة سرجيوس الثاني لأداء القسم؛ الأمر الذي يشير إلى أن هذا القسم كان ساريًا في هذا الوقت، ومن ثمّ يثبت أنه كان مطلوبًا منذ عهد أوجينيوس الثاني، ولم يكن جزءًا من اتفاقية عام ٨٢٥م(٤).

)1(*The Lives of the Ninth-Century Popes*, pp. 35- 36; Thatcher (O.J.): and McNeal (E.H.): *A Source Book for Medieval History, Selected Documents Illustrating The History of Europe in The Middle Ages*, Boston, 1905, pp. 109- 110; *Scriptores rerum Langobardicarum et Italicarum*, Saec. VI - IX, in M.G.H., Hannoverae, 1878, p. 203.

)2(Ullmann: *The Origins of the Ottonianum*, p. 118.

(٣) البابا جريجوري الرابع: مواطن روماني، تولى العرش البابوي عام ٨٢٧م. تأخر تكريسه لمدة ستة أشهر حتى حضور المبعوث الإمبراطوري في ٢٩ مارس ٨٢٨م. ومن أبرز أعماله إنشاء مدينية جريجوريوبوليس.

للمزيد: بدران عبد الونيس محمد: سياسة البابا ليو الرابع تجاه هجمات المسلمين ضد روما، هامش ص ١٥١.

)4(Noble: *The Republic of St. Peter*, pp. 315- 316.

ويتفق الباحث مع رأي نوبل في أن البابا أوجينيوس الثاني قد أقسم هذا القسم قبل صدور الدستور، وأمر الباباوات فيما بعد بأداء القسم نفسه، والدليل على ذلك هو استخدام الفعل الماضي عند الحديث عن قسم أوجينيوس، مما يعني أنه قد أقسم عند تتويجه في أوائل يونيو، في حين صدر المرسوم في منتصف نوفمبر[١].

ومن الجدير بالذكر التفريق بين قسم البابا، وقسم الرومان للإمبراطور، فبينما كان قسم البابا هو القسم العادي للحكم بالعدل الذي يؤديه الملوك عند تتويجهم، أو ربما كان ذلك لإظهار الشرف الذي كان مستحقًا للإمبراطور بوصفه حامي الكنيسة الرومانية[٢]، كان قسم الرومان هو القسم الذي جعلهم رعايا للإمبراطور، مكلفين بمجموعة من المهام، من أهمها: الحفاظ على الولاء له، وعدم السماح بتكريس البابا قبل أداء القسم للإمبراطور[٣].

أما الجزء الثاني من القسم فقد كان مبتكرًا، وهو عبارة عن تكليف من الإمبراطور للرومان بالتصرف بمسئولية أكبر تجاه الانتخابات البابوية، وعدم السماح بإجرائها إلا إذا كانت قانونية وعادلة[٤].

وكذلك وسع الإمبراطور لوثر مسؤولية الرومان في الدستور الروماني عما ورد في الميثاق، حيث اكتفى في الميثاق بالمشاركة في الانتخابات، بينما جعلهم في الدستور يشاركون في الانتخابات، ويعملون حماةً – أيضًا– للانتخابات البابوية، وكان هذا الإجراء بمثابة اعتراف ضمني بأهمية الشعب الروماني، وقوتهم في الانتخابات البابوية.

الدستور الروماني بين النظرية والتطبيق:

ادّعى الأباطرة الكارولنجيون بعد صدور الدستور الروماني عام ٨٢٤م الحقَّ –الذي كان يمتلكه الأباطرة البيزنطيون– في تأييد المرشح للمقعد البابوي أو رفضه، فكيف كان ردّ فعل الباباوات على هذه الادّعاءات الكارولنجية؟ وللإجابة على هذا التساؤل لابدّ من العودة للوراء للتعرف على موقف الباباوات قبل صدور الدستور من فكرة التدخل الإمبراطوري في الانتخابات البابوية، وبالتحديد بداية من جهود البابا ليو الثالث للتقرب من شارلمان بوصفه حاميًا له، وتأسيسه بعض العادات التي تضمنت دورًا إمبراطوريًا في الدولة البابوية؛ ومن ذلك وضع اسم الإمبراطور شارلمان على ظهر عملاته المعدنية، ذلك التقليد الذي يدل على أن الإمبراطور

)1(*The Lives of the Ninth-Century Popes*, p. 35; Noble: *Louis the pious and the papacy*, pp. 228- 229.

)2(Mann: *The Lives of The Popes*, p. 165.

)3(*The Lives of the Ninth-Century Popes*, p. 35; Giovanni (C. P.): *Les élections épiscopales dans la doctrine et la pratique de l'Église, In: Cahiers de civilization médiévale,*11 année (n°44), Octobre-décembre 1968, p. ٧٩.

)4(Noble: *The Republic of St. Peter*, pp. 317.

الكارولنجي كان بطريقة ما راعي الدولة البابوية، وهي السياسة نفسها التي اتبعها تجاه لويس التقي لكي يقوم بنفس الحماية التي كان يقدمها شارلمان، وهكذا كان الباباوات الأوائل على استعداد للانحناء لرغبات الإمبراطورية من أجل الحفاظ على الأباطرة بصفتهم حماة للبابوية(١).

يعد البابا ستيفن الرابع أول بابا يتم انتخابه منذ إحياء الإمبراطورية الرومانية الغربية في عام ٨٠٠م، فقد تم انتخابه وتكريسه دون الحصول على الموافقة الإمبراطورية؛ لأنه –رغم تجديد الإمبراطورية– لم يكن للإمبراطور دورٌ محددٌ في الانتخابات البابوية، لعدم تجديد عادة انتظار التأكيد الإمبراطوري(٢).

كما تذكر حوليات الفرنجة قيام البابا ستيفن الرابع –في غضون شهرين من تكريسه– برحلة إلى فرنسا من أجل زيارة الإمبراطور لويس التقي؛ تعزيزًا للسلام والوحدة في الكنيسة، وإرضاءً للويس بشأن انتخابه، وتأكيدًا للصداقة البابوية الفرنجية، وتحديدًا للحقوق البابوية الفرنجية في روما وضواحيها(٣). وبالفعل تم الاتفاق بينهما على تجديد معاهدة الصداقة التي تم إبرامها أكثر من مرة بين الفرنجة والبابوية، ووضع ضمانات استقلال الدولة البابوية، وحرية الانتخابات البابوية المتجسدة في ميثاق لويس عام ٨١٧م، والخاصة بتعديل المرسوم الانتخابي لعام ٧٦٩م(٤).

توفي ستيفن الرابع في ٢٤ يناير ٨١٧م، وذلك بعد عودته من فرنسا بحوالي شهر(٥)، وانتخب البابا باسكال الأول خلفًا له في اليوم التالي لوفاته، ويرجع المؤرخون التسرع في الانتخاب والتكريس إلى محاولة منع الإمبراطور الغربي الجديد من التدخل في اختيار البابا الجديد، وخشية رجال الدين الرومان من محاولة الإمبراطور التدخل في الوراثة البابوية مثل أسلافه البيزنطيين، ومعارضتهم المطالب المتزايدة للإمبراطورية في التصديق على انتخاب البابا(٦).

)1(Carol: *Pope Nicholas I and the First of Papal Independence*, pp. 134- 136.

)2(*The Lives of the Eighth-Century Popes*, p. 231; Kelly: *The Oxford Dictionary of Popes*, p. 99; Pham: *Heirs of the Fisherman*, p. 51.

)3(*Regesta pontificum Romanorum*, p. 221; Noble: *The Republic of St. Peter*, pp. 303; Ganshof: *Frankish Institutions under Charlemagne*, p. 132; Noble: *Louis the pious and the papacy*, p. 203.

)4(*The Lives of the Eighth-Century Popes*, p. 231; *Rerum Italicarum scriptores*, p. 285; *Royal Frankish Annals and Nithard's Histories*, p. 101; Noble: *The Republic of St. Peter*, p. 302.

)5(*Chronicle of the Popes*, p. 154; *A Chronology of the Byzantine Empire*, p. 239.

)6(Kelly: *The Oxford Dictionary of Popes*, p. 99; Gregorovius: *History of the City of Rome*, p. 35; Pham: *Heirs of the Fisherman*, p. 52.

هذا وقد سارع البابا باسكال الأول عقب تكريسه بإرسال سفارتين إلى الإمبراطور لويس التقي؛ حملت السفارة الأولى إلى جانب بعض الهدايا رسالة اعتذار عن انتخابه وتتويجه دون الحصول على الموافقة الإمبراطورية، أما السفارة الثانية فقد كان الغرض منها الرغبة في تجديد تحالف الصداقة بين البابوية والإمبراطورية(١).

وفي الحقيقة، لم يكن هناك مرسوم يمنع تكريس الباباوات حتى يتم إخطار الإمبراطور بانتخابه والحصول على موافقته، وإنما كانت مجرد عادة موروثة منذ الأباطرة البيزنطيين الذين حرصوا على الالتزام بها حتى تم القضاء على سيطرتهم على إيطاليا. ومنذ ذلك الوقت، أي منذ تولى البابا زكريا Zacharias I (٧٤١-٧٥٢م)(٢) العرش البابوي عام ٧٤١م حتى صدور الدستور ٨٢٤م، كان يتم ترسيم الباباوات دون تصديق إمبراطوري؛ سواء من الشرق أم الغرب، ولما كان الأمر كذلك، فما الأمر الذي كان يجب أن يعتذر منه باسكال أول؟ ما يوضحه المؤرخون هو أن رسالة باسكال كانت عبارة عن خطاب توضيحي للويس يؤكد من خلاله أنه لم يرغب في المنصب البابوي بسبب طموح شخصي وأنه تم انتخابه قانونيًا من قبل رجال الدين بتزكية الشعب عكس رغبته(٣). وقد كانت هذه خطوة ذكية من البابا باسكال الأول، لتجنب أي صراع مع الإمبراطور من ناحية، ولتعزيز علاقات الصداقة بين البابوية والإمبراطورية، التي كانت مهمة لضمان استقرار روما وإيطاليا من ناحية أخرى.

توفي البابا باسكال الأول في ١١ فبراير ٨٢٤م، وأعقب وفاته انتخاب متنازع عليه بين النبلاء والعامة، وقد أسفر هذا الانتخاب في النهاية على نجاح النبلاء في فرض مرشحهم بتزكية من المبعوث الإمبراطوري في روما في ذلك الوقت(٤)، ويعد هذا أول تدخل كارولنجي فعّال في الانتخابات البابوية.

)1(*Royal Frankish Annals and Nithard's Histories*, p. 102; *Son of Charlemagne*, p. 62 ; Platina: *The Lives of the Popes*, p. 210; *Regesta pontificum romanorum*, p. 222.

(٢) البابا زكريا: كان باباً يونانيًا، وابن بوليكرونيوس. كان محبًا للدين والشعب الروماني، وتولى البابوية في وقت كانت إيطاليا مشتعلة في الحرب. ومن أجل تحقيق السلام أرسل سفراء إلى الملك اللمباردي ليتوبراند، ثم ذهب هو بنفسه لمقابلته.

Cf: Platina: *The Lives of the Popes*, p. 186.

)3(Bower: *The History of the Popes*, pp. 187- 188; Ullmann: *The Origins of the Ottonianum*, p. 117.

)4(*Annales Regni Francorum*, pp. 164- 165 ; Kelly: *The Oxford Dictionary of Popes*, p. 101.

وقد تخلى البابا أوجينيوس الثاني خلال فترة حكمه القصيرة عن معظم المكاسب التي حققها أسلافه للبابوية، بموافقته على الدستور الروماني عام ٨٢٤م، والذي أسس لفكرة الإشراف الإمبراطوري على إدارة روما، وجعل البابا والرومان يَقْسِمون على الولاء للإمبراطور الكارولنجي(١).

وفي أول تطبيق عملي للدستور الروماني في الانتخابات البابوية بعد حوالي ثلاث سنوات عام ٨٢٧م، عقب وفاة البابا أوجينيوس في أغسطس ٨٢٧م، وانتخاب فالنتينI Valentine (٨٢٧م)(٢) لا توجد وثيقة تشير إلى دور السلطة الإمبراطورية في تلك الانتخابات، أو أداء البابا قَسَم الولاء- أسوة بالبابا أوجينيوس الثاني- للإمبراطور الكارولنجي فيها، ورغم ذلك يبدو أنه تم الالتزام بالدستور بدليل مشاركة النبلاء في تلك الانتخابات؛ الأمر الذي يثبت أنه تم الالتزام بالدستور الذي أعاد للنبلاء حق المشاركة في الانتخابات البابوية التي حرموا منها(٣).

وكان التطبيق العملي الثاني للدستور الروماني أكثر وضوحًا في الانتخابات البابوية التي جرت عقب وفاة البابا فالنتين عام ٨٢٧م، فقد تم تأجيل تكريس البابا جريجوري الرابع حوالي ستة أشهر منذ انتخابه في أكتوبر ٨٢٧م، حتى وصول المبعوث الإمبراطوري، وأداء قَسَم الولاء له بعد التأكد من شرعية تلك الانتخابات في ٢٩ مارس ٨٢٨م(٤).

أثارت وفاة البابا جريجوري الرابع في ٢٥ يناير ٨٤٤م، مشكلة المشاركة في الانتخابات البابوية بين الطبقات الاجتماعية في روما، وتحديدًا بين طبقتي العامة والنبلاء (٥)؛ حيث اقتحم العامة قصر اللاتيران Lateran بالقوة، ونصّبوا الشماس حناJohn للكرسي البابوي. ولم يقف النبلاء مكتوفي الأيدي خلال هذه

)1(Gregorovius: *History of the City of Rome*, p. 35; Duffy: *Saints and Sinners*, p. 97.

(٢) البابا فالنتين: ولد البابا فالنتين في روما، وهو ابن ليونتيوس، من عائلة نبيلة معروفة بتقواها. تلقى تعليمًا جيدًا والتحق بقصر اللاتيران في عهد البابا باسكال الأول. أصبح البابا بعد وفاة البابا أوجينيوس الثاني، وتوفي بعد ٤٠ يومًا من توليه اللقب. دُفن في كنيسة القديس بطرس.

Cf: Platina: *The Lives of the Popes,* pp. 213- 214; McKilliam: *A chronicle of the popes*, p. 157.

)3(*The Lives of the Ninth-Century Popes*, p. 41 ; Baronio: *Annales Ecclesiastici*, pp. 122- 123; Bayer: *Les Élections pontificales*, pp. 79- 80; Mann: *The Lives of The Popes*, p. 185.

)4(*The Lives of the Ninth -Century Popes*, p. 45; *Royal Frankish Annals and Nithard's Histories*, p. 122; Carol: *Pope Nicholas I and the First of Papal Independence*, p. 135.

)5(*The Annals of Fulda, Ninth-Century Histories*, Tans By Timothy Reuter, vol. II, Manchester University Press, Manchester, 1992, p. 22; *Chronicle of the Popes*, p. 71; McKilliam: *A chronicle of the popes*, p. 160.

الأحداث، بل نجحوا في السيطرة على قصر اللاتيران بعد فرار العامة، فقد ملأ الرعب قلوبهم لدى سماعهم أخبار اقتراب النبلاء من القصر، وتركوا الشماس حنا لمصيره، حيث قبض عليه النبلاء، وأرادوا أن يفتكوا به لولا تدخل البابا سرجيوس الثاني، الذي سمح له بالتقاعد في أحد الأديرة، ولم يسمع عنه أي شيء بعد ذلك(١).

وبانتصار سرجيوس الثاني، ظهرت أولى حركات الاستقلال البابوي عن الدستور الروماني، فقد حمله النبلاء إلى قصر اللاتيران، وتم تتويجه وتكريسه دون انتظار الحصول على الموافقة الإمبراطورية وفقًا للدستور الروماني عام ٨٢٤م(٢).

لم تسير الأمور فيما يتعلق بالتطبيق العملي للدستور الروماني على ما يرام في الانتخابات البابوية عام ٨٤٤م، لعدة أسباب من أهمها؛ سعي النبلاء الأرستقراطيين للتحرر من قيود الدستور الروماني، وتأمين انتخاب البابا سرجيوس الثاني، ومنع تكرار المعارضة الشعبية، والتحرر من السيطرة الإمبراطورية التي كانت تفرضها الإمبراطورية الفرنجية على الانتخابات البابوية(٣).

وبالطبع لم يمر انتهاك الدستور الروماني، وعدم الالتزام به مرور الكرام، فقد غضب الإمبراطور لويس التقي غضبًا شديدًا، وكلّف ابنه لوثر، ودروجو Drogo(٤) أسقف ميتز بالتوجه إلى روما لعقاب الرومان على عدم الالتزام بالدستور، والتعدي على الحقوق الإمبراطورية، وإجبارهم على التعهد بعدم تكريس أي بابا مستقبلًا دون الحصول على الإذن الإمبراطوري وحضور مبعوثيه(٥).

سار لويس برفقة دروجو إلى روما امتثالًا لأوامر والده الإمبراطور لويس التقي، وَفَوْرَ وصولهم إلى الأراضي الرومانية، بدأ الجيش الفرنجي في أعمال السلب، والنهب، والتخريب؛ حيث قتلوا عددًا كبيرًا من

)1(*The Lives of the Ninth -Century Popes*, p. 76; McKilliam: *A chronicle of the popes*, p. 160; *A Chronology of the Byzantine Empire*, p. 254. *Regesta pontificum romanorum*, p. 228.

يعلق المؤرخ مان على ذلك قائلًا: " ولولا سرجيوس الذي لم يكن راغبًا في معالجة الشر بالشر، لتم تقطيع الشماس التعيس حنا إلى أشلاء" Cf: Mann: *The Lives of The* popes, p. 237.

)2(*Rerum Italicarum scriptores*, p. 291; McKilliam: *A chronicle of the popes*, p. 160; Villari (P.): *Mediaeval Italy From Charlemagne to Henry VII*, London, 1990, p. 23.

)3(*The Lives of the Ninth -Century Popes*, p. 71; Kelly: *The Oxford Dictionary of Popes*, p. 103. ; Gregorovius: *History of the City of Rome*, p. 83; Dollinger: *A History of the Church*, p. 124.

(٤) دروجو: ابن غير شرعي للملك شارل، أصبح أسقف لمدينة ميتز عام ٨٢٣م، أي بعد وفاة والده بحوالي سبع سنوات.

Cf: *Charlemagne and Louis the Pious*, p. 68.

)5(Mann: *The Lives of The Popes*, p. 239; Bower: *The History of the Popes*, p. 234; McKeon (P. R.): *Archbishop Ebbo of Reims (816-835)*: A Study in the Carolingian Empire and Church, Church History, Vol. 43, No. 4, Dec., 1974, p. 846.

الناس، وأحرقوا منازلهم، وحولوا البلاد التي مروا بها إلى خراب، كأنها أراضٍ محتلة. ويبدو أن هذا السلوك كان مقصودًا أن يكون مظهرًا من مظاهر الغضب الإمبراطوري(١).

استقبل البابا سرجيوس الثاني الإمبراطور لويس بكل ترحاب في كنيسة القديس بطرس يوم الأحد ٨ يونيو ٨٤٤م(٢)، وبعد مفاوضات استمرت أيام نجحت حملة لويس في تحقيق الأهداف التي جاءت من أجلها، سواء الخاصة بالتحقيق في شرعية انتخاب البابا سرجيوس الثاني وتبرئته من التهم الموجهة إليه، أو الخاصة بتكريس لويس الثاني في ١٥ يونيو بوصفه ملكًا لإيطاليا، وتعيين دروجو نائبًا بابويًا في بلاد الغال.

كما تعهد البابا بعدم تكريس أي بابا مستقبلًا إلا بعد الحصول على الموافقة الإمبراطورية، ومع ذلك رفض كلٌّ من البابا والنبلاء الرومان الخضوع لمطالب الملك لويس بأداء قسم الولاء له، متذرعين بأن الإمبراطور وحده من يمتلك حق السيادة، والسلطة القضائية داخل المدينة، وفي النهاية تم قبول هذا الوضع من جميع الأطراف، وغادر لويس مدينة روما عقب ذلك(٣).

ويعد انتخاب سرجيوس الثاني عام ٨٤٤م أول تحدّ واجه الدستور الروماني، فقد نجح النبلاء الرومان في فرض مرشحهم بالقوة، وفشلت الحملة الإمبراطورية في إجبار سرجيوس الثاني على أداء قسم الولاء.

ولم تقتصر متاعب تطبيق الدستور الروماني على انتخابات عام ٨٤٤م فحسب، بل واجه التحدي نفسه –أيضًا– بعد ثلاث سنوات، وبالتحديد عقب وفاة البابا سرجيوس الثاني في ٢٧ يناير ٨٤٧م، وانتخاب خليفته ليو الرابع، وتكريسه دون انتظار الحصول على الموافقة الإمبراطورية. ربما كان للظروف التي تعرضت لها روما في ذلك الوقت- وتحديداً وقت الهجوم الإسلامي على المدينة عام ٨٤٦م- دورٌ في التعدي على الحقوق الإمبراطورية الخاصة بالتكريس(٤).

)1(*The Lives of the Ninth -Century Popes*, p. 77; Mann: *The Lives of The Popes*, pp. 239-240; Duchesne: *The Beginnings of the Temporal Sovereignty of the Popes*, p. 139.

)2(*The Lives of the Ninth -Century Popes*, p. 79. ; McKilliam: *A chronicle of the popes*, p. 161.

)3(*Chronicle of the Popes*, p. 71; *The annals of St-Bertin*: Ninth-century histories, volume I, trans by Janet L. Nelson, Manchester, 1991, p. 57; *Regesta pontificum romanorum*, p. 229; Walsh: *The Conclave*, p. 42. ; Kurtz: *Church History*, p. 490.

)4(*The annals of St-Bertin*, p. 64; *The Lives of the Ninth -Century Popes*, p. 101; Duchesne (L.): *Le Liber Pontificalis: Texte, introduction et commentaire*. 795-1464. Tome, Paris, 1892, p. 106; *A Complete History of the Popes of Rome*, from Saint Peter, the First Bishop, to Pius the Ninth, the Present Pope, Translated by Louis Marie, Vol.1, Philadelphia,1857, p. 223.

وعلى الرغم من إهمال الدستور الروماني، وعدم الالتزام به، فإن البابا والرومان كانوا حريصين على كسب ود الإمبراطور الفرنجي، وعدم تعريض المدينة المقدسة لهجوم محتمل، كما حدث خلال انتخابات سرجيوس الثاني؛ لذا سارع البابا بالكتابة إلى الإمبراطور يعتذر من مخالفة اللوائح والقوانين، وعدم الالتزام بها، كما أكد له الرومان استسلامهم، وخضوعهم له. وقد تم إبرام اتفاق بين البابا والإمبراطور ينص على عدم تكريس بابا في المستقبل إلا بعد الحصول على الموافقة الإمبراطورية(١).

يشير غياب الوجود الفرنجي في انتخابات سرجيوس الثاني وليو الرابع إلى أن الالتزام بالدستور الروماني كان أقل صرامة في تلك السنوات، وأن البابوية والأرستقراطيين الرومان نجحوا في تحقيق قدر من الاستقلال الذاتي الذي ناضلوا من أجله(٢).

كما شهد عهد البابا ليو الرابع صراعًا كبيرًا بين البابوية والإمبراطورية الكارولنجية من أجل دستور ٨٢٤م، حيث سعى الأباطرة إلى إحكام قبضتهم على البابوية، بينما سعت البابوية وأنصارها إلى التحرر من قيود ذلك الدستور، ولذلك شهدت بابوية ليو الرابع العديد من القضايا، من أبرزها؛ قضية دانيال، وجراتيان وحرمان أناستاسيوس(٣).

اتهم جراتيانGratian- أحد القادة العسكريين- من قِبل زميله دانيالDaniel، بأنه طالب بضرورة التخلص من النفوذ الفرنجي من خلال التحالف مع البيزنطيين خلال أحد اللقاءات السرية بينهما، مما أثار غضب الإمبراطور لويس، الذي كان على خلاف مع البيزنطيين في ذلك الوقت. وقد سافر لويس إلى روما حيث عقد محكمة مشتركة مع البابا ليو الرابع، وانتهت المحكمة بتبرئة جراتيان وإدانة دانيال.

)1(Poupardin (R.): *The Carolingian Kingdoms (840- 877)*، in C.M.H, vol. 3, p. 29; Mann: *The Lives of The Popes*, pp. 239- 240; Ullmann: *The Origins of the Ottonianum*, p. 119.

)2(Goodson: *The Rome of Pope Paschal I Papal power*, p. 273.

(٣) أناستاسيوس: هو مترجم لاتيني يوناني، ولد في روما بين عامي ٨٠٠ و٨١٧م. كان ابن شقيق أرسينيوس، أسقف أورتي. كان يتقن اللغتين اللاتينية واليونانية، وترجم العديد من الأعمال الأدبية والفلسفية اليونانية إلى اللاتينية، وكان المترجم الأكثر إنتاجًا في القرن التاسع الميلادي. كما تعاون مع ثلاثة باباوات في القرن التاسع: نيكولاس الأول، وهادريان الثاني، وحنا الثامن. وكان على دراية بجميع الممثلين المهمين في الحياة السياسية والثقافية في أواخر القرن التاسع.

Cf: Kelly: *The Oxford Dictionary of Popes*, p. 106; Forrai (R.): *Anastasius Bibliotecarius and his Textual Dossiers Greek Collections and their Latin Transmission in 9th Century Rome*, 2008, pp. 319- 320.

وبناءً على طلب البابا، كان من الضروري تسليم دانيال لجراتيان؛ إلا أن الإمبراطور- الذي كان يرغب في حماية أحد مؤيديه المخلصين- رفض تسليم دانيال لكي يسلم من العقوبة الموقعة عليه(١)، الأمر الذي يثبت تورط الحزب الإمبراطوري في روما في تلك القضية.

ومهما كانت حقيقة هذه القضية والضجة التي أثيرت حولها، فإن التأثير الناتج عنها يقودنا إلى عدة استنتاجات؛ من أبرزها: تعدد الأحزاب السياسية في روما؛ ما بين مؤيد للفرنجة، ومؤيدٍ للإمبراطورية البيزنطية، ومعادٍ للوجود الفرنجي فيها، ومحاولة الحزب الإمبراطوري إثارة القلاقل والمشاكل في روما من أجل استدعاء التدخل المباشر للإمبراطور الفرنجي؛ لإضعاف نفوذ البابا في روما(٢).

نظرًا لكثرة الحوادث في عهد البابا ليو الرابع، وخلافاته مع الإمبراطورية الفرنجية، بداية من تكريسه دون إذن الإمبراطور لويس، ومرورًا بحوادث القتل والتحقيق في اتهامات جراتيان، بدأ الفرنجة مبكرًا في التحضير لإعداد خليفة لليو الرابع يكون أكثر التزامًا بالدستور الروماني، وإخلاصًا لدوره في الحماية الفرنجية، وقد وجد لويس ذلك في الكاهن أناستاسيوس، الذي كان صديقًا له، وأحد وكلائه الرئيسيين في روما(٣).

كانت الفرصة مواتية للإمبراطور لويس لدعم الكاهن أناستاسيوس عندما نشب خلاف بين الكاهن والبابا؛ بسبب تخلي أناستاسيوس عن كنيسته التي تم تعيينه كاردينالًا لها من قبل ليو الرابع عام ٨٤٧/ ٨٤٨م، وفراره من روما ولجوؤه إلى الإمبراطور، وعدم استجابته للنداءات التي أرسلها إليه البابا ليو الرابع؛ الأمر الذي دفع البابا إلى إصدار الحرمان ضد أناستاسيوس في مجمع روما عام ٨٥٠م بحضور سبعة وأربعين أسقفًا، ثم تكرار الحرمان مرة أخرى في رافنا في ٢٩ مايو ٨٥٣م، ومرة ثالثة في مجمع روما ١٩ يونيو ٨٥٣م بحضور ست وخمسين أسقفًا(٤).

)1(*The Lives of the Ninth -Century Popes*, p. 158; *A Complete History of the Popes of Rome*, p. 225; Baronio: *Annales Ecclesiastici,* pp. 423- 424; Duchesne (L.): *Les premiers temps de l'Etat pontifical (754-1073)*, Paris, 1898, p. 112.

تغريد طه أنور أبو العلا: صراع القوى في شبه الجزيرة الإيطالية وآثاره السياسية من ٧٤١- ٨٧٥م، رسالة ماجستير غير منشورة بكلية الآداب جامعة دمنهور، ٢٠١١م، ص ٣١٩.

)2(Duchesne: *The Beginnings of the Temporal Sovereignty of the Popes*, p. 149.

)3(Duchesne: *Ibid. Cit.*, p. 149. ; Gantner (C): *After Charlemagne*: Carolingian Italy and its Rulers, Cambridge, 2021, pp. 11- 12.

)4(*The Lives of the Ninth -Century Popes*, pp. 105- 105. ; Platina: *The Lives of the Popes*, p. 224; Baronio: *Annales Ecclesiastici*, p. 398; Thomas (D.): *Christian-Muslim Relations a Bibliographical History*, Vol. 1, Boston, 2009, p. 789.

لم يكتف البابا ليو الرابع في محاربة أناستاسيوس على أحكام الحرمان الصادرة ضده فحسب، بل سعى لتخليد تلك الأحكام، واستثمارها في الدعاية ضد الحزب الإمبراطوري في روما، من خلال إقامة صورة ضخمة للسيد المسيح والعذراء على المدخل الرئيس لكنيسة القديس بطرس، محاطة بسلسلة من النقوش مستنسخة الأحكام الصادرة ضد أناستاسيوس(١).

على الرغم من أحكام الحرمان المتكررة التي أصدرها البابا ليو الرابع ضد أناستاسيوس بهدف إجباره على العودة إلى روما، فإنه ظل مع لويس، وفي ضوء جهود لويس لتعيين أناستاسيوس بابا في عام ٨٥٥م، يمكن القول إن أناستاسيوس كان بالفعل زعيمًا لحزب إمبراطوري في روما، وأن اعتراضات ليو عليه طوال الوقت كانت تستند إلى رغبة ليو في معارضة أي زيادة في النفوذ الإمبراطوري، ولاسيّما في الانتخابات البابوية(٢).

لم تمنح وفاة البابا ليو الرابع في ١٧ يوليو ٨٥٥م، الحزبين المتصارعين في روما فرصة للدخول في صراع حول المرشح للمنصب البابوي فحسب، بل منحت أناستاسيوس الفرصة لإظهار نفسه بصفته زعيمًا للحزب الإمبراطوري، وبذلك تحقق ما كان يخشاه ليو الرابع، وسعى لعرقلته بأي ثمن(٣).

اجتمع الرومان (النبلاء، ورجال الدين، والشعب الروماني) عقب وفاة البابا ليو الرابع لاختيار خليفة له، ووافقوا جميعًا على اختيار بنديكت الثالث، ووقعوا على مرسوم الانتخاب، وتم الاتفاق على إرساله إلى الإمبراطور لويس الثاني للحصول على التصديق، والموافقة على الانتخابات حسب الدستور الروماني ٨٢٤م(٤)؛ الأمر الذي يثبت أن الحزب البابوي في روما لم يكن لديه أي رغبة في عرقلة الدستور الروماني، أو عدم الالتزام به.

ربما كان للظروف التي أحاطت بروما في ذلك التوقيت، وخاصة التهديد الإسلامي لروما في منتصف القرن التاسع الميلادي، ومشاكل الحزب الإمبراطوري في روما في عهد البابا ليو الرابع أثرها في إرغام الحزب البابوي على الالتزام بالدستور الروماني؛ من أجل تفادي مرشح إمبراطوري محتمل.

)1(Duchesne: *The Beginnings of the Temporal Sovereignty of the Popes*, pp. 150- 151.

)2(*The Lives of the Ninth -Century Popes*, pp. 105; *Regesta pontificum romanorum*, p. 235.

)3(*The annals of St-Bertin*, p. 80. ; Duchesne: *The Beginnings of the Temporal Sovereignty of the Popes*, p. 152.

)4(*Rerum Italicarum scriptores*, p. 293; Mann: *The Lives of The Popes*, p. 309; Gregorovius: *History of the City of Rome*, p. 115.

يبدو أن الحزب الإمبراطوري كان لديه رأي آخر فيما يتعلق بالانتخابات البابوية، يتمثل هذا الرأي في اعتراض أرسينيوس[١] Arsenius عم أناستاسيوس للسفراء، وخداعه لهم، وإقناعهم بالتخلي عن البابا بنديكت، ودعم المرشح الإمبراطوري أناستاسيوس، الذي رغم حرمانه من ليو الرابع، فإنه ظل قويًّا محافظًا على حزبه في روما ، ساعيًا للوصول إلى التاج البابوي بكل جدّ، ولذلك انضم إليه الكثير من الرومان؛ الأمر الذي شجعه على اقتحام مدينة ليونينLeonine City ، وكنيسة القديس بطرس بالقوة، وتدمير لوحة المجمع الديني التي شيدها ليو الرابع، ثم شقّ طريقه إلى روما، واقتحم قصر اللاتيران، بالقوة وقبض على البابا بنديكت الثالث، وجرده من ثيابه البابوية في ٢١ سبتمبر ٨٥٥م، وأساء معاملته، وسلمه إلى بعض الكرادلة، الذين تم حرمانهم من قبل البابا ليو الرابع[٢].

عقد الحزب البابوي –الذي لم يستسلم لما حدث من الحزب الإمبراطوري– اجتماعًا عقب هذه الأحداث في كنيسة إميليا، ورغم اقتحام الاجتماع من قبل الحزب الإمبراطوري، الذي رغب في فرض أناستاسيوس عليهم بالقوة، فإنهم نجحوا في إقناعهم برفض مرشح مطرود ومحروم من قبل البابا السابق[٣]، وبالفعل تم الاتفاق في الاجتماع الذي عقد بينهم يوم الثلاثاء في اللاتيران على طرد أناستاسيوس، وإعادة انتخاب بنديكت الثالث، ووفقًا لذلك تم تكريس بنديكت أمام المبعوث الإمبراطوري في كنيسة القديس بطرس في يوم ٢٩ سبتمبر بعد أن اعترف له أنصار أناستاسيوس بخطئهم[٤].

وقد سلطت تلك الأحداث الضوء على الانقسامات المتزايدة باستمرار في المدينة، وهي انقسامات أدّت إلى تقسيم المدينة إلى أحزاب متصارعة؛ ما بين حزبٍ إمبراطوريّ نما في روما، وحارب الميول نحو الحكم الذاتي، (وهو الحزب الذي شجب في عهد ليو الرابع بعض الأشخاص لتعاطفهم مع البيزنطيين، وسعى لانتخاب

---

(١) أرسينيوس: كان أرسينيوس أسقفًا لأورتي من عام ٨٥٥ حتى عام ٨٦٨م. كان شخصية بارزة في روما منذ عهد البابا ليو الرابع، عندما كان مبعوثًا إمبراطوريًا.

Cf: *The Lives of the Ninth –Century Popes*, p. 169.

)2(*The Lives of the Ninth –Century Popes*, pp. 169– 170; *Regesta pontificum romanorum*, p. 235;Gregorovius: *History of the City of Rome*, pp. 116– 117.

)3(*The Lives of the Ninth –Century Popes*, pp. 173– 174; Laporte (A.): *De Anastasio bibliothecario sedis apostolicae*, Paris, 1885, pp. 5–6.

)4(*The annals of St–Bertin*, p. 80; *The Lives of the Ninth –Century Popes*, pp. 175 –176; Mann: *The Lives of The Popes*, pp. 311– 312; *Regesta pontificum romanorum*, p. 235.

ومن الجدير بالذكر أن الإمبراطور لوثر توفى في اليوم نفسه، تاركًا اللقب الإمبراطوري للويس.

Cf: McKilliam: *A chronicle of the popes*, p. 165.

أناستاسيوس)، وحزبٍ بابويّ يسعى للاستقلال الذاتي، وحِرْصِ الإمبراطور – الذي لا زال يتذكر الانطباع السيء الذي تركته محاكمة جراتيان، وعدم ثقته في الوضع في روما– على عدم تعيين بابا نشيط مثل ليو الرابع، بل على العكس من ذلك كان يأمل في تولي بابا خاضع له، وأخيرًا نجاح المشاعر الشعبية، وتحالفها مع بنديكت في إحباط مشروع الإمبراطور بتعيين بابا يتمتع بالدعم الإمبراطوري(١).

ورغم إدراك الإمبراطور لويس صعوبة تعيين أناستاسيوس بابا في المستقبل بعد فشل المحاولة الحالية، فإن صعوبة التخلي عن أحد أنصاره المؤيدين في روما، جعله يبرم اتفاقًا مع بنديكت يتضمن الموافقة على انتخابه مقابل العفو عن أناستاسيوس، وتعيين أرسينيوس مبعوثًا إمبراطوريًا في روما، ومن ثمّ تم تعيين أناستاسيوس رئيسًا لأحد الأديرة، وهكذا فإن محاولة أناستاسيوس لاستيلاء على العرش البابوي تركته بعقوبة أقل من حرمانه(٢).

منحت وفاة البابا بنديكت الثالث في الثامن من إبريل ٨٥٨م الإمبراطور لويس – الذي كان في زيارة لأسباب غير معروفة لروما، وبدأ بالفعل رحلة العودة إلى الوطن عندما سمع بخبر وفاة بنديكت– فرصة الإشراف على الانتخابات البابوية، وتنفيذ الدستور الروماني من ناحية، وانتخاب بابا مؤيد للفرنجة من ناحية أخرى، ولهذا عاد مسرعًا إلى روما لحرصه على ذلك الانتخاب، ونجح بالفعل في انتخاب نيكولاس الأول على عكس رغبة رجال الدين الرومان، الذين كانوا يفضلون مرشحًا آخر، وتم تكريس نيكولاس في كنيسة القديس بطرس في ٢٤ أبريل ٨٥٥م، بعد أن ظل العرش البابوي شاغرًا لمدة خمسة عشر يومًا(٣).

غادر لويس المدينة فور إتمام مراسم التتويج، لكنه استقر بالقرب منها؛ خوفًا من اندلاع أعمال عنف ضد البابا المعين من قبله، وذهب البابا إلى هناك مع النبلاء الرومان؛ ليسير الإمبراطور أمامه حاملًا لجام حصانه، واستقبله في خيمته؛ الأمر الذي يشير إلى تخلى الإمبراطور عن كرامته. وقد عاد البابا إلى روما بعد أن أمدّه الإمبراطور بالهدايا(٤).

رغم نجاح لويس في انتخاب نيكولاس الأول، وتعيينه على عكس رغبة الرومان، ونجاحه في إزالة الانتكاسة الناجمة عن فشل تعيين أناستاسيوس ٨٥٥م؛ فإن نيكولاس أفشل مخطط الإمبراطور منذ البداية؛ لأنه

)1(*Chronicle of the Popes*, p. 71; Gregorovius: *History of the City of Rome*, pp. 118– 119; Gay (J.): *L'Italie Méridionale et L'empire Byzantin depuis l'avènement de Basile Ier jusqu'à la prise de Bari par les Normands (867– 1071)*، Paris, 1904, p. 65.

)2(*The Lives of the Ninth –Century Popes*, p. 176

)3(*Rerum Italicarum scriptores*, p. 298; McKilliam: *A chronicle of the popes*, p. 165; Morrison: *Tradition and Authority in the Western Church*, p. 214.

)4(McKilliam: *Ibid. Cit.*, p. 165. ; Gregorovius: *History of the City of Rome*, p. ١٢١.

كان مؤيدًا للاستقلال الديني والسياسي للكنيسة عن الإمبراطورية، واستخدم من أجل ذلك كافة الوسائل المتاحة وفقًا للتقاليد البابوية المعتادة(١).

كان نيكولاس الأول معارضًا بشدة لفكرة التدخل الإمبراطوري في الانتخابات البابوية، ولذلك عقد مجمع ديني في روما عام ٨٦٢م، أعلن من خلاله منع أي شخص باستثناء رجال الدين من المشاركة في الانتخابات البابوية، ولم يكن هذا القانون موجهًا ضد الإمبراطور بقدر ما كان يستهدف أناستاسيوس وأنصاره(٢).

يعد هذا المرسوم انتكاسة للدستور الروماني ٨٢٤م؛ لأنه ألغى أحد بنوده الخاصة بمنح النبلاء الرومان حق المشاركة في الانتخابات البابوية؛ وهكذا جدد هذا المجمع مرسوم ٧٦٩م الخاص باستبعاد النبلاء من الانتخابات البابوية.

وقد أثارت وفاة البابا نيكولاس الأول في ١٣ نوفمبر ٨٦٧م انقسامًا بين المعجبين به وبسياسته، والمعارضين لها الساعين للحصول على الحرية، وإلغاء المراسيم البابوية. ورغم خوف رجال الدين من دعم النبلاء لمرشح آخر، فإنه تم إزالة تلك الشكوك باتفاقهم جميعًا على ترشيح هادريان الثاني Hadrian II(٨٦٧-٨٧٢م)(٣) الذي رفض الترشح قبل ذلك مرتين عام ٨٥٥م و٨٥٨م، وجلبوه إلى اللاتيران، حيث نصبوه بابا بوصفه مرشحًا توافقيًا بينهم(٤). وتُعد مشاركة النبلاء الرومان في انتخاب هادريان الثان فشلًا لمرسوم ٨٦٢م الذي كان يمنع مشاركة أي شخص -باستثناء رجال الدين- من المشاركة في الانتخابات البابوية.

رغم وصول المندوبين الإمبراطوريين إلى روما قبل الانتخابات، فإنه لم تتم دعوتهم إلى المشاركة فيها والإشراف عليها، مما أشعرهم بالإهانة، ولعل السبب في عدم مشاركتهم، هو أن الدستور الروماني نص على التصديق على المرشح، ولم ينص على إشراف المندوبين على الانتخابات، إضافة إلى خشية الرومان من أن

)1(*The Lives of the Ninth -Century Popes*, p. ١٩٠; Villari: *Mediaeval Italy*, p. 31.

)2(Bayer: *Les Élections pontificales*, p. 86. Mann: *The Lives of The Popes*, pp. 10- 11.

(٣) البابا هادريان الثاني: مواطن روماني، كان ابن تالاروس، وينتمي لنفس العائلة المميزة لستيفن الرابع، وسرجيوس الثاني. وتم اختياره خلفًا للبابا نيكولاس الأول في عام ٨٦٧م، وتولى العرش البابوي في سن الخامسة والسبعون من عمره.

Cf: McKilliam: *A chronicle of the popes*, p. 168.

)4(*Rerum Italicarum scriptores*, p. 305; *The Lives of the Ninth -Century Popes*, p. ٢٥٠. *The annals of St-Bertin*, p. 142; Gregorovius: *History of the City of Rome*, p. 155.

كانت وفاة البابا نيكولاس الأول في عام ٨٦٧م نقطة تحول في تاريخ البابوية، وكانت الإمبراطورية الرومانية، التي تم تجديدها بفضل البابوية لحاجتها إلى حامٍ قوي، قد تم تقسيمها بين أحفاد شارلمان المتصارعين. مع تفكك الإمبراطورية بحلول نهاية القرن التاسع، وجد الباباوات أنفسهم دون حماية في خضم ثعابين السياسة الإيطالية.

Cf: Duffy: *Saints and Sinners*, p. 103.

يمنح وجود المندوبين- فيما بعد- المبعوثين الإمبراطوريين الحق في المساعدة في الانتخابات، وكذلك في التكريس؛ ولهذا امتثل المندوبون لهذه المبررات رغم شكواهم، ووفقًا للعرف هنأوا هادريان، رغم تيقنهم من أن رجال الدين والشعب قد انتحلوا لأنفسهم السلطة الكاملة لانتخاب البابا، دون انتظار الموافقة من أي أمير(١).

أشاد الإمبراطور لويس باختيار الرومان هادريان الثاني دون انتظار تدخل أي شخص، قائلًا: "كيف يمكن لشخص غريب أن يكون قادرًا في بلد آخر على تمييز الأفضل، لذلك فإن الانتخابات ملك للمواطنين الرومان، ولمن لديهم معرفة بالمتنافسين، ومقدرة على التمييز بينهم"(٢). ويعد هذا اعترافًا ضمنيًا من الإمبراطور لويس بحق الرومان في اختيار البابا.

تم تكريس هادريان الثاني وفقًا للدستور الروماني بعد الحصول على الموافقة الإمبراطورية في ١٤ ديسمبر ٨٦٧م، وعلى الرغم من محاولته الحفاظ على سياسات نيكولاس الأول، فإنه كان ضعيفًا ومتذبذبًا، لذا تراجعت السلطة البابوية خلال فترة حكمه، وفقدت المكاسب التي حققها نيكولاس الأول(٣).

وقد تعرضت البابوية مع بداية عهد البابا هادريان الثاني إلى متاعب جديدة بعد سعي المسئولين عن تمثيل الإمبراطورية في إيطاليا إلى ممارسة السلطة لصالحهم الخاص، وليس لصالح الإمبراطورية. وكان أبرز هؤلاء لامبرت دوق سبوليتوSpoleto، الذي شن هجومًا على روما، وقام بسلب، ونهب الكنائس، ومصادرة ممتلكات النبلاء، كما طالب بالإشراف على الانتخابات البابوية وفقًا للدستور الروماني ٨٢٤م(٤).

ولم تقتصر المتاعب التي تعرضت لها البابوية في عهد هادريان الثاني على المخاطر الخارجية فقط، بل سبب لها أنصار الحزب الإمبراطوري في روما متاعبًا جديدة من خلال اتهام البابا بالتخلي عن سياسة البابا نيكولاس الأول ورغبته في إلغاء الأعمال التي قام بها. إلا أن هادريان نجح في تهدئة المواطنين بالدعوة للصلاة العامة للبابا الراحل، والاعتراف بما قام به؛ الأمر الذي أزعج أعداءه ومنحوه لقب "نيكولاس الغامض"(٥).

)1(Platina: *The Lives of the Popes*, p. 230; Gaugusch: *Das Rechtsinstitut der Papstwahl*, pp. 37- 38; Gregorovius: *History of the City of Rome*, pp. 155- 156.

)2(Platina: *Ibid. Cit.*, pp. 230- 213; *The annals of St-Bertin*, p. 142; *Chronicle of the Popes*, p. 71.

)3(*The Lives of the Ninth -Century Popes*, p. ٢٥٠.

)4(McKilliam: *A chronicle of the popes*, p. 169; *A Chronology of the Byzantine Empire*, p. 265.

)5(Gregorovius: *History of the City of Rome*, p. 159.

توفي البابا هادريان الثاني في عام ٨٧٢م، وتولى البابا حنا الثامنJohn VIII (٨٧٢-٨٨٢م) [١] العرش البابوي خلفًا له، وكان في ذلك الوقت قد تقدم في السن، وأصبح في حالة صحية ضعيفة، وقد تمّ تتويجه وتكريسه في ١٤ ديسمبر ٨٧٢م، وهو اليوم نفسه الذي توفى فيه البابا السابق؛ الأمر الذي يعود بنا إلى افتراض أن الإمبراطور كان موجودًا في روما في ذلك التوقيت؛ إذ ليس من المحتمل أن يكون هناك أي انتهاك للدستور الروماني؛ ومن ثمّ حصل على الموافقة الإمبراطورية، وبذلك يكون انتخاب حنا الثامن قد تم دون أي مشاكل، خاصة أنه كان صديقًا شخصيًا للإمبراطور، وفضله في شغل المنصب البابوي[٢].

تعد بابوية حنا الثامن نقطة تحول في العلاقة بين البابوية والإمبراطورية، ولعل ذلك يرجع إلى أسباب عديدة أبرزها؛ انقراض نسل الكارولنجيين، والانتقال المتكرر للإمبراطورية من نسل إلى آخر، مع نمو الدوقات والكونتات في إيطاليا، مما جعل البابا نفسه عبدًا أو ضحية لأحد الفصائل المعارضة[٣].

غيرت بابوية البابا حنا الثامن الوضع تمامًا في العلاقة بين البابوية والإمبراطورية فيما يتعلق بالانتخابات، فبينما كان يُطلب من الباباوات منذ دستور ٨٢٤م الحصول على الموافقة الإمبراطورية لانتخابهم، أصبح الآن يتوقف اختيار الأباطرة على موافقة الباباوات، وهو الحق الذي مارسه حنا الثامن مرتين، الأولى مع شارل الأصلع عام ٨٧٥م، والأخرى مع شارل الثمين عام٨٧٩م[٤].

نجح البابا حنا الثامن في البداية في إخضاع الإمبراطورية، لكنه سرعان ما عانى من عواقب ذلك، وشهدت بابويته بداية ظهور فصيل جديد في روما لا تتفق مصالحه مع البابوية أو الكارولنجيين، وهو الحزب الألماني بزعامة فورموزوسFormosus (٨٩١- ٨٩٦م) الراغب في إنهاء النفوذ الفرنجي بها[٥].

---

(١) البابا حنا الثامن: روماني المولد والهوية ولد في مدينة روما في الربع الأول من القرن التاسع الميلادي، ظهر نجمه بعد أن أصبح شماسًا للكنيسة الرسولية، ولاقى انتخابه للبابوية معارضة، لكنه أثبت نفسه، واعترف له المؤرخون بأنه كان من أعظم الباباوات الذين تولوا الكرسي البابوي في القرن التاسع الميلادي.

للمزيد: انظر: إيمان بعد المنعم خلاوي: موقف البابا حنا الثامن من تهديدات مسلمي جنوب إيطاليا لروما (٨٧٢- ٨٨٢م)، مجلة المؤرخ العربي، العدد ٢٦، ج ٢، القاهرة، ٢٠١٨م، ص ١٧١.

)2(*Rerum Italicarum scriptores*, p. 307; *The annals of St-Bertin*, p. 181. ; Duchesne: *The Beginnings of the Temporal Sovereignty of the Popes*, p. 152.

)3(Milman: *History of Latin Christianity*, p. 81.

)4(Duchesne: *The Beginnings of the Temporal Sovereignty of the Popes*, p. 174.

)5(McKilliam: *A chronicle of the popes*, p. 171; Gregorovius: *History of the City of Rome*, p. 204.

وقد اغتيل البابا حنا الثامن على يد أحد رجال الدين في حاشيته، لتبدأ فترة جديدة من أسوأ الفترات في تاريخ البابوية، حيث عُين الباباوات، وخلعوا في تتابع سريع، إما بالقتل –فقد اغتيل ما يقرب من اثنى عشر بابا، والعديد منهم تم قتلهم بعد الإطاحة بهم– أو الخلع دون أن يقتلوا، أو من خلال إجبارهم على التنازل عن العرش(١).

شهدت الانتخابات البابوية التي أعقبت مقتل حنا الثامن انتهاكات عديدة ليس للدستور الروماني – من خلال التتويج دون الحصول على الموافقة الإمبراطورية– فحسب، بل لمجمع نيقية –أيضًا– الذي منع انتقال الأساقفة من كرسي إلى كرسي آخر، حيث تم تعيين الأسقف مارينوس(٨٨٢– ٨٨٤م)(٢)، ونقله من كنيسته إلى كنيسة روما وتتويجه، ليصبح بذلك أول أسقف يتم دعوته لتولي العرش البابوي(٣).

ويبدو أن البابا مارينوس كان أحد أعضاء الحزب الألماني الذي ظهر حديثًا على الساحة في روما، ومما يدل على ذلك، رفع العقوبات عن أنصار هذا الحزب بمجرد توليه العرش البابوي، ولعل أبرز هؤلاء؛ الأسقف فورموزوس الذي أعاده مارينوس إلى كنيسته مرة أخرى بعد رفع قرار الحرمان الصادر بحقه من قبل البابا حنا الثامن(٤).

البابا فورموزوس: ولد البابا فورموزوس في روما عام ٨١٦م. كان رجل دين بارز، وخدم في مناصب مهمة في عهد الباباوات نيكولاس الأول، وهادريان الثاني في عام ٨٦٤م، وتم تعيينه أسقفًا لبورتو. في عام ٨٦٨م، كما أرسله البابا نيكولاس الأول إلى بلغاريا لتنصير المملكة البلغارية، وتولى العرش البابوي عام ٨٩١م، وتوفي عام ٨٩٦م.

للمزيد: انظر: بدران عبد الونيس محمد: الصعوبات التي واجهت الإمبراطور برينجار الأول في حكم إيطاليا (٨٨٨– ٩٢٤م)، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية المصرية، المجلد الثالث، العدد العاشر، أبريل ٢٠٢١م، هامش ص ص ٧٠– ٧١.

)1(Bayer: *Les Élections pontificales*, p. 15.

(٢) البابامارينوس: ولد مارينوس الأول في جاليس، وهي بلدة بالقرب من روما. دخل في خدمة الكنيسة الرسولية في سن الثانية عشر، وسرعان ما أصبح شخصية بارزة في الكنيسة. في عام ٨٦٩م، تم اختياره من قبل البابا هادريان الثاني ليكون أحد المندوبين الثلاثة الذين سيمثلون الكنيسة في المجمع الديني في القسطنطينية عام ٨٦٩/٨٧٠م، وكان المجمع الديني مهمًا للغاية، حيث ناقش العديد من القضايا المهمة المتعلقة بالإيمان المسيحي. وقد لعب مارينوس دورًا رئيسًا في المجمع، وساعد في التوصل إلى اتفاق بين الطرفين المتنازعين.

Cf: *Regesta pontificum romanorum*, p. 292; *New Catholic Encyclopedia*, Vol. 9, p. 167.

)3(Platina: *The Lives of the Popes*, pp. 233– 234; Bayer: *Les Élections pontificales*, p. 15.

)4(McKilliam: *A chronicle of the popes*, p. 174.

يعد انتخاب البابا هادريان الثالثHadrian III (٨٨٤- ٨٨٥م)[١] خلفًا لمارينوس الأول أحد الانتهاكات التي حدثت للدستور الروماني- أيضًا- فقد تم تتويجه في ١٧ مايو ٨٨٤م، دون الحصول على الموافقة الإمبراطورية، كما أنه ورث موقف البابا حنا الثامن بما في ذلك معارضته للحزب الألماني وأتباع فورموزوس[٢].

وتنفيذًا لسياسة البابا حنا الثامن في مواجهة نفوذ الإمبراطورية الكارولنجية، والسعي للتخلص من قيود الدستور الروماني، أصدر البابا هادريان الثالث مرسومين:

- المرسوم الأول الذي سعى من خلاله لنقل الإمبراطورية من الفرنجة للإيطاليين، والذي يقضي بمنح اللقب الإمبراطوري في حالة وفاة شارل السمين دون وريث ذكر لأمير ولد في إيطاليا فقط.
- المرسوم الثاني الذي وجه بشكل مباشر ضد الدستور الروماني، حيث نص على تكريس الباباوات في المستقبل دون انتظار حضور المبعوثين الإمبراطوريين. [٣].

ولا توجد أدلة توضح ما إذا كان حق التأكيد القديم قد مورس في الانتخابات التي جرت عامي ٨٨٢م و٨٨٤م أم لا. إذ كان من المستحيل انتظار الحصول على الموافقة الإمبراطورية لشغور المنصب البابوي في تلك الفترة، ورغم ذلك فإنه من المحتمل أن يكون تمّ تفويض المندوب الإمبراطوري الدائم بتأكيد المنصب البابوي[٤].

كما تمثل انتخابات البابا ستيفن الخامسStephen V (٨٨٥- ٨٩١م)[٥] بعد وفاة البابا هادريان الثالث تحديًا جديدًا للدستور الروماني، فقد تم انتخابه دون الحصول على الموافقة الإمبراطورية، أو حتى حضور

---

(١) البابا هادريان الثالث: ولد في روما. كان ابنًا لبنديكت. في عام ٨٨٤م، تم انتخابه البابا. كان هادريان باباً حكيمًا وعادلًا، وعمل على تعزيز مكانة الكنيسة في العالم. في السنة الأولى من بابويته، فتح المسلمون دير مونت كاسينو. ولم يتمكن الإمبراطور شارل السمين من إرسال أي مساعدات إلى إيطاليا، حيث كان مشغولًا بالصراعات الداخلية في إمبراطوريته. في عام ٨٨٥، أصدر البابا هادريان مرسومًا يقضي بمنح التاج الإمبراطوري في حالة وفاة شارل دون وريث ذكر لأمير ولد في إيطاليا.

Cf: McKilliam: *A chronicle of the popes*, p. 175.

)2(*Regesta pontificum romanorum*, p. 293; Walsh: *The Conclave*, p. 47.

)3(McKilliam: *A chronicle of the popes*, p. 175; Platina: *The Lives of the Popes*, p. 234; Gregorovius: *History of the City of Rome*, pp. 206- 207.

)4(Duchesne: *The Beginnings of the Temporal Sovereignty of the Popes*, p. 189.

(٥) البابا ستيفن الخامس: ولد في روما، وكان ابن هادريان. كان كاهنًا كاردينالًا في كنيسة كواترو كورواناتي، وتم انتخابه البابا في عام ٨٨٥م. تولى العرش البابوي لمدة أربع سنوات و٧ أشهر و١٤ يومًا، وتوفي في ٤ أكتوبر ٨٩١م.

Cf: McKilliam: *A chronicle of the popes*, p. 176; *The Lives of the Ninth -Century Popes*, p. ٢٩٧.

المبعوثين الإمبراطوريين الموجودين في روما، مما أثار غضب الإمبراطور شارل السمين، واتخذ قرارًا بعزل البابا ستيفن، وأرسل كبير مستشاريه إلى روما لتنفيذ ذلك، لكنّ البابا ستيفن نجح في تهدئة الأمور والحصول على الاعتراف بشرعيته، بعد أن أقنع الإمبراطور بأن انتخابه تم بالإجماع من قبل الرومان(١).

كانت هذه آخر محاولة من الأباطرة الكارولنجيين للعودة إلى الدستور الروماني عام ٨٢٤م، ولم يتم الالتزام بالدستور بعدها؛ سواء من قبل الباباوات أم الأباطرة.

واستمرارًا للسياسة البابوية الساعية للتخلص من النفوذ الفرنجي في روما، لم يلتفت البابا ستيفن الخامس عند وفاة شارل السمين عام ٨٨٨م إلى ابن شارل، وقام بتتويج جيدو دوق سبوليتو إمبراطورًا، وترتب على ذلك عدة نتائج، من أبرزها: انتهاء سلالة الكارولنجيين، وسقوط البابوية تدريجيًا تحت سيطرة العائلات المتنافسة من النبلاء الرومان، ودخول البابوية في أحلك فصول تاريخها وأكثرها تقلبًا في تاريخ الوراثة البابوية، وشكوى البابوية –بعد سنوات– من المشاكل العديدة التي نتجت عن غياب المبعوثون الإمبراطوريين أثناء الانتخابات، وحصول دوق سبوليتو على التاج الملكي لإيطاليا واللقب الإمبراطوري، مما أضاف عاملًا جديدًا في سياسة الانتخابات البابوية(٢).

تمثل الانتخابات البابوية التي جرت عقب وفاة البابا ستيفن الخامس في سبتمبر ٨٩١م نهاية للدستور الروماني، وأثره في الانتخابات البابوية، فقد تم انتخاب فورموزوس أحد أعضاء الحزب الألماني المعادي للحزب البابوي والإمبراطوري، الذي كان يسعى إلى القضاء على الإمبراطورية الكارولنجية من خلال انتخاب الأمراء الألمان، ولذلك سرعان ما قام فورموزوس عقب توليه العرش البابوي باستدعاء أرنولفArnulf (٨٨٧– ٨٩٩م) الألماني، ومنحه التاج الإمبراطوري(٣).

لم يستطع الحزب الألماني الحفاظ على المنصب البابوي عقب وفاة البابا فورموزوس، حيث اندلعت اضطرابات شعبية في المدينة انتهت بانتخاب أحد أعداء الحزب الألماني، وهو البابا بونيفاس السادس

)1(*The Lives of the Ninth –Century Popes*, pp. 298– 299; McKilliam: *A chronicle of the popes*, p. 176 ;Gregorovius: *History of the City of Rome*, p. 208.

)2(McKilliam: *A chronicle of the popes*, p. 17٧. Walsh: *The Conclave*, p. 47. Pham: *Heirs of the Fisherman*, p. 52; Bayer (C.): *Les Élections pontificales*, p. 89.

)3(Liudprand of Cremona: *The Complete Works of Liudprand of Cremona*, Trans by Squatriti (P.), The Catholic University of America Press, 2007, p. 63; McKilliam: *Ibid. Cit.*, p. 178; Gregorovius: *History of the City of Rome*, pp. 216– 217.

Boniface VI (٨٩٦م) [١]، ولم يكن للحاكم الألماني في روما أي دور أو تأثير في تلك الانتخابات، وبذلك تكون البابوية قد نجحت في التخلص من التدخل العلماني في الانتخابات البابوية[٢].

وقد سارع الحزب الإيطالي في روما، خوفًا من اندلاع النزاعات بين الفصائل السياسية في روما عقب وفاة البابا ستيفن السادس من أجل المنصب البابوي، بانتخاب أحد أنصاره وهو البابا ستيفن السادس Stephen VI (٨٩٦- ٨٩٧م) [٣] الذي كان يحمل عداءً شديدًا للحزب الألماني في روما، وتباعًا لذلك ترك الحاكم الألماني مدينة روما، خشية انتقام ستيفن وحزبه. ويبدو أن ستيفن كان مدفوعًا لذلك بالشعور الحزبي، لأنه مدين بانتخابه للفصيل المعارض للألمان[٤].

تضمنت بابوية ستيفن السادس واحدة من أكثر الأحداث المروعة في التاريخ البابوي، حيث كان عدوًا للبابا الراحل فورموزوس، ولذلك تم استدعاء مجمع ديني في روما عام ٨٩٧م، وتمت خلاله محاكمة فورموزوس من خلال استخراج جثته من القبر مرتديًا الثياب البابوية، ووضع على العرش، وتم توجيه اتهامات عديدة له؛ منها الانتقال من أسقفية إلى أخرى خلافًا لقانون الكنيسة، وهكذا ضحى هذا البابا بشرف الكرسي الرسولي للروح الانتقامية لحزبه[٥].

أدت هذه الأحداث إلى اندلاع تمرد ضد البابا ستيفن السادس انتهي بإلقاء القبض عليه، وتجريده من ثيابه البابوية وهو على قيد الحياة، ثم ألقي به في السجن الذي عدّه اعداؤه عقابًا غير كافٍ، ومن ثمّ قاموا بشنقه[٦].

---

(١) البابا بونيفاس السادس: ولد في توسكاني، تولى العرش البابوي عقب وفاة البابا فورموزوس، وتوفي في اليوم السادس والعشرين من حبريته، ودفن في كنيسة القديس بطرس، ودفن في كنيسة القديس بطرس.

Platina: *The Lives of the Popes*, p. 237.

)2(McKilliam: *A chronicle of the popes*, p. 180; Platina: *The Lives of the Popes*, p. 237.

(٣) البابا ستيفن السادس: ولد البابا ستيفن السادس في روما، وكان أسقفًا لأبرشية أناجني، وعلى الرغم من أنه كان أسقف أناجني، فقد انتخب بابا على خلاف القانون الذي يمنع انتقال الأساقفة من كرسي إلى آخر. تعاون مع لامبرت دوق سبوليتوفي التنكيل بالبابا الراحل فورموزوس.

Cf: Platina: *The Lives of the Popes*, p. 237; *New Catholic Encyclopedia*, Vol. 12, pp. 519- 520.

)4(McKilliam: *A chronicle of the popes*, p. 181; Gregorovius: *History of the City of Rome*, pp. 224- 225; Milman: *History of Latin Christianity*, p. 110.

)5(*The Annals of Fulda*, p. 135; *Regesta pontificum romanorum*, p. 303; Walsh: *The Conclave*, p. 48; Dollinger: *A History of the Church*, p. 134.

)6(Gregorovius: *History of the City of Rome*, p. 229; Duchesne: *The Beginnings of the Temporal Sovereignty of the Popes*, pp. 200- 201.

كانت فترة حكم البابويين التاليين رومانوسRomanus(٨٩٧م)[١]، وثيودور الثاني[٢] Theodorus II قصيرة للغاية، شغل رومانوس الكرسي البابوي لمدة أربعة شهور من أغسطس ٨٩٧م إلى وفاته في نوفمبر ٨٩٧م، وبعد وفاته تم انتخاب البابا ثيودور الثاني في نوفمبر ٨٩٧م، لكنه توفى هو الآخر بعد حكم دام عشرين يومًا فقط. وربما يرجع قصر عهود العديد من الباباوات في هذه الفترة إلى حقيقة مؤداها أن هذه الفصائل الحزبية قد وضعت المسنين والعجزة على الكرسي البابوي[٣]، وكان هذا نتيجة للصراعات السياسية والدينية التي كانت تعاني منها روما في ذلك الوقت، فقد جعلت كل طرف في الصراع يحاول أن يضع رجله على الكرسي البابوي، حتى لو كان غير مؤهلٍ.

شهدت الانتخابات البابوية في عام ٨٩٧م صراعًا جديدًا، وتنافسًا على المنصب البابوي بين سرجيوس الثالث –أحد أنصار ستيفن السادس– وحنا التاسعJohn IX (٨٩٨– ٩٠٠م) [٤]، الذي نجح في طرد سرجيوس الثالث من روما، وكرس بابا في ٩ يناير ٨٩٨م، دون الحصول على موافقة المندوبين الإمبراطوريين أو حضورهم[٥].

من أجل التخفيف قدر الإمكان من السلوك الفاضح لمجلس ستيفن السادس، والحد من الخلافات الداخلية للكنيسة الرومانية، عقد البابا حنا التاسع مجمع روما عام ٨٩٨م، واتخذ من خلاله مجموعة من القرارات، هي: إلغاء قرارات مجمع ستيفن السادس، وإلغاء محاكمة البابوات بعد وفاتهم، والاعتراف بالرسامات

---

(١) البابا رومانوس: روماني الجنسية، تتصل بمجرد توليه العرش البابوي من جميع أعمال ومراسيم البابا ستيفن السادس. وتوفي بعد أن تولى العرش البابوي بثلاثة أشهر.

Cf: Platina: *The Lives of the Popes*, p. 239.

(٢) البابا ثيودور الثاني: مواطن روماني. كان البابا لمدة ثلاثة أشهر فقط، لكنه تمكن من تحقيق العديد من الإنجازات المهمة. أولاً، تجاهل مجمع الجثة الذي عقد في عهد البابا ستيفن السادس. وعقد مجمعًا دينيًا صادقًا. صادق من خلاله على جميع الرسامات التي تمت بواسطة البابا فورموزوس، ثانيًا، قيامه بدفن جثة فورموزوس التي كانت قد ألقيت في النهر.

Cf: *New Catholic Encyclopedia*, Vol. 13, p. 872.

)3(McKilliam: *A chronicle of the popes*, pp. 182– 183; Gregorovius: *History of the City of Rome*, p. 230; Duchesne: *The Beginnings of the Temporal Sovereignty of the Popes*, p. 201.

(٤) البابا حنا التاسع: كان مواطنًا رومانيًا. تولى العرش البابوي عقب وفاة البابا ثيودور الثاني. عقد مجمعًا دينيًا في رافنا بمشاركة أربعة وسبعين أسقفًا. أدان المجمع كل ما فعله البابا ستيفن السادس، واعترف بجميع الرسامات التي قام بها البابا فورموزوس.

Cf: Platina: *The Lives of the Popes*, pp. 240– 241.

)5(McKilliam: *A chronicle of the popes*, p. 184; *Regesta pontificum romanorum*, p. 304; Duchesne: *The Beginnings of the Temporal Sovereignty of the Popes*, pp. 201– 202.

التي قام بها فورموزوس، كما أصدر مرسومًا لتنظيم الانتخابات البابوية[١]؛ لعدة أسباب، منها: العنف الذي يصاحب هذه الانتخابات من قبل الفصائل الرومانية، وسعي النبلاء الرومان للسيطرة على المنصب البابوي، وإدراك البابا حنا التاسع أن الإمبراطور هو الشخص الوحيد الذي يمكنه منع هذه الانتهاكات، ولذلك أمر بأن تتم جميع الانتخابات البابوية في حضور ممثلي الإمبراطور.

وقد جاء نص المرسوم كالتالي:

"نظرًا لمعاناة الكنيسة الرومانية التي نترأسها وفقًا لإرادة الله عند وفاة البابا من عنف العديد من الأشخاص، عند انتخاب البابا دون علم الإمبراطور، ..... ومن أجل منع الاضطرابات أثناء الانتخابات، فإننا نقرر أنه يجب عند انتخاب البابا أن يجتمع الأساقفة، ورجال الدين، وفي حضور أعضاء السناتو، والشعب الروماني لانتخابه، لكي يتم تكريس الشخص المختار في حضور رسل الإمبراطور[٢]."

وهكذا لخص هذا المرسوم الإجراءات الانتخابية فيما يلي:

- منح الأساقفة ورجال الدين حق انتخاب البابا في حضور أعضاء السناتو والشعب.
- أوكل مهمة الحفاظ على النظام العام أثناء الانتخابات البابوية للمبعوثين الإمبراطورين، ومع ذلك كان هذا المرسوم لفتة فارغة، لأن المندوبين كانوا عاجزين مثل الأباطرة الذين أصبحوا الآن دوقات سبوليتو[٣].

وهكذا أوضحت المحاولات المتكررة للأباطرة لاختيار الباباوات، أنهم يعتقدون أن هذا حقهم المشروع، وأظهرت المقاومة المتكررة للباباوات أنهم لم يوافقوا أبدًا، ولذلك كان تأثير الدستور الروماني محدودًا في القرن التاسع، حيث تجاهل الباباوات في كثير من الأحيان شروطه كلما استطاعوا ذلك[٤].

الدستور في عيون المؤرخين:

تتلخص نظرة المؤرخين إلى الدستور الروماني في ثلاثة عناصر رئيسة، وهي: العلاقة بين البابوية والإمبراطورية، ودمج البابوية مع الإمبراطورية، وأنه امتداد لميثاق لويس ٨١٧م.

)1(McKilliam: *Ibid. Cit.*, p. 184; Duchesne: *The Beginnings of the Temporal Sovereignty of the Popes*, pp. 202- 203.

)2(Thatcher and McNeal: *A Source Book for Medieval History*, pp. 113- 114.

)3(Ullmann: *A Short History of the Papacy*, p. 71.

)4(Steck: *The Concept of the Populus*, p. 98; Carol: *Pope Nicholas I*, p. 138.

العلاقة بين البابوية والإمبراطورية: يمثل الدستور الروماني ٨٢٤م من وجهة نظر بعض المؤرخين ثورة في العلاقات البابوية الفرنجية(١)، وذروة النفوذ الفرنجي في الولايات البابوية تحت حكم الكارولنجيين(٢)، بعد أن نجح لوثر في توطيد السيادة الإمبراطورية، وتعزيزها على الكرسي الرسولي في الأمور الدنيوية(٣).

دمج البابوية مع الإمبراطورية: يُعد الدستور الروماني ٨٢٤م استمرارًا للسياسات التي بدأت عام ٨١٦م، التي تعمل على دمج روما وأسقفها في الهيكل المؤسسي للإمبراطورية، من خلال توضيح سيادة الإمبراطور أكثر مما كانت عليه من قبل، الأمر الذي جعل البابا يشعر بحقيقة أنه أحد رعايا الإمبراطور، كما أن احتفاظ لويس لنفسه بحق إصدار أحكام الإعدام ضد أي شخص ارتكب جريمة ضد شخص تحت حمايته، كان بالتأكيد ردًّا على الإجراءات شبه السيادية للباباوات السابقين الذين قتلوا –بمحض إرادتهم– خصومهم(٤).

بوصفه امتدادًا لميثاق لويس ٨١٧م: كان الدستور الروماني لعام ٨٢٤م بمثابة تمديد لدستور عام ٨١٧م، ولم يُعدِ الجزء الأول منه المتعلق بتأكيد الممتلكات الإقليمية، فقد تمّ تغيير الجزء الثاني من ميثاق ٨١٧م، بحيث تم إعداد تنظيمات أكثر ملاءمة لحماية الأراضي البابوية، وإدارتها بفعالية(٥).

يقول المؤرخ مان Mann: "لو تم تطبيق الدستور الروماني لعام ٨٢٤م بشكل صحيح، لأوقف فعليًا التعديات المتزايدة للنبلاء، فقد كان اتفاقًا حقيقيًا بين الكنيسة والفرنجة لمصلحتهما المشتركة"(٦).

كفل الدستور الروماني حماية الرومان ليس ضد الأعداء الأجانب فحسب– كما أراد البابا ستيفن الثاني عام ٧٥٤م– ولكن بعضهم ضد بعض، كما أراده البابا أوجينيوس الثاني(٧).

بعد الانتهاء من هذا البحث توصل الباحث إلى العديد من النتائج أبرزها: لم يكن الدستور الروماني سوى محاولة فرنجية للسيطرة على الدولة البابوية من خلال الإسهام في انتخاب بابا فرنجي، أو على الأقل تابع للفرنجة.

أسهمت العديد من الأسباب في فشل تطبيق الدستور الروماني بداية من الهجمات الإسلامية ضد روما في منتصف القرن التاسع الميلادي، التي تسبب في تكريس سرجيوس الثاني وليو الرابع وتتويجهما دون

)1(*The Lives of the Ninth-Century Popes*, p. 36.

)2(Morrall: *Church and State Through the Centuries*, p. 13.

)3(Barry: *The Papal Monarchy*, p. 118.

نور الدين حاطوم: تاريخ العصر الوسيط في أوربة، ص ١٩٤.

)4(Noble: *Louis the pious and the papacy*, p.240.

)5(Ullmann: *The Origins of the Ottonianum*, p. 117.

)6(Mann: *The Lives of The Popes*, p. 163.

)7(*The Lives of the Ninth-Century Popes*, p. 36.

الحصول على الموافقة الإمبراطورية، وحتى انتهاء سلالة الكارولنجيين عام ٨٨٨م، وظهور الفصائل الرومانية، وصراعها في روما من أجل السيطرة على المنصب البابوي، ورغبة الأرستقراطية الرومانية في التحرر من القيود المفروضة عليها بموجب الدستور.

رغم صدور الدستور الروماني الذي أسس الإشراف الإمبراطوري على الانتخابات البابوية؛ فإنه لم يكن التدخل الإمبراطوري العامل الرئيس المؤثر فيها، وإنما كان الرومان هم العامل الرئيس والأهم في انتخاب الباباوات وتكريسهم. والدليل على ذلك نجاحهم في الصمود ضد المرشح الإمبراطوري أناستاسيوس، وإجبار الحزب الإمبراطوري على تكريس البابا بنديكت الثالث.

لم تسير علمية التطبيق العملي للدستور الروماني على وتيرة واحدة خلال القرن التاسع الميلادي، وإنما مرت بمراحل عديدة أهمها:

المرحلة الأولى: وهي مرحلة الالتزام بالدستور الروماني وتنفيذ بنوده، التي بدأت بصدور الدستور عام ٨٢٤م حتى وفاة البابا جريجوري الرابع عام ٨٤٤م.

المرحلة الثانية: وهي مرحلة إهمال بنود الدستور الروماني، التي تتمثل في انتخاب البابا سرجيوس الثاني وليو الرابع وتكريسهما.

المرحلة الثالثة: وهي مرحلة التدخل الإمبراطوري لتنفيذ الدستور الروماني التي بدأت بانتخاب البابا بنديكت الثالث عام ٨٥٥م واستمرت حتى وفاة الإمبراطور شارل عام ٨٨٨م.

المرحلة الرابعة: انتهاء الدستور الروماني وعدم الالتزام به نتيجة انهيار الإمبراطورية الكارولنجية، وظهور الفصائل المتصارعة في روما.

خلاصة القول كان النبلاء الرومان هم العامل المؤثر الأكبر في عملية انتخاب الباباوات خلال القرن التاسع الميلادي، ورغم منحهم الدستور الروماني حق المشاركة في الانتخابات، فإنهم سعوا جاهدين للقضاء عليه، ورغم صدور العديد من المراسيم التي تهدف إلى الحد من سيطرة النبلاء على الانتخابات البابوية، فإنها باءت جميعًا بالفشل.

ملخص البحث

سعى الأباطرة الكارولنجيون منذ تحالفهم مع البابوية في منتصف القرن الثامن الميلادي إلى السيطرة على الدولة البابوية في روما، وقد فعلوا ذلك من خلال الإسهام في الانتخابات البابوية، والإشراف عليها. وقد أصدروا العديد من المراسيم الإمبراطورية للسيطرة على الانتخابات البابوية، ومن أبرزها: مجمع روما عام ٤٦٩م، وميثاق لويس عام ٨١٧م، والدستور الروماني عام ٨٢٤م. وكان الهدف من هذه المراسيم هو ضمان انتخاب البابوات الذين يفضلهم الأباطرة الكارولنجيون، ومنع انتخاب البابوات الذين قد يكونون غير موالين للإمبراطورية.

ويعدّ الدستور الروماني ميثاقً صدر بالاتفاق بين الإمبراطور لويس والبابا أوجينيوس الثاني في عام ٨٢٤م، وكان الهدف منه هو السيطرة على الدولة البابوية، وإخضاعها للإمبراطورية الكارولنجية. وقد نص الميثاق على ما يلي: الإشراف على الانتخابات البابوية من قبل الإمبراطور الكارولنجي، وتأسيس سلطة مشتركة في روما بين الإمبراطور والكاهن الأكبر، وكان هذا الميثاق بمثابة خطوة مهمة في اتجاه السيطرة الإمبراطورية على الدولة البابوية.

سعى الباباوات والنبلاء الرومان خلال القرن التاسع الميلادي للتحرر من سيطرة الإمبراطورية الكارولنجية، والقيود المفروضة عليهم بموجب الدستور الروماني، وقد أسهمت العديد من الأسباب في هذا التحرر، من أبرزها: الخطر الإسلامي في إيطاليا، الذي هدد مدينة روما نفسها في منتصف القرن التاسع الميلادي. وانهيار الإمبراطورية الكارولنجية، الذي أضعف سيطرة الإمبراطور على البابوات والنبلاء الرومان، ورغبة النبلاء الرومان في التحرر من قيود الدستور الروماني، الذي كان يحد من سلطتهم.

لم يلتزم الباباوات والنبلاء الرومان بالدستور الروماني خلال فترات كثيرة من القرن التاسع الميلادي، وقد نجحوا في النهاية في التحرر من سيطرة الإمبراطورية الكارولنجية، وتأسيس دولة بابوية مستقلة. كان هذا التحرر بمثابة نقطة تحول مهمة في تاريخ الدولة البابوية، فقد مهد الطريق لظهور البابوية بوصفها قوة سياسية واقتصادية في أوروبا، وأسهم في استقرار الكنيسة الكاثوليكية في القرنين اللاحقين.

Abstract

The Carolingian emperors, since their alliance with the papacy in the mid-eighth century, sought to control the Papal States. They did so by contributing to and supervising papal elections. They issued several imperial decrees to control papal elections, including Council of Rome in 469, Charter of Louis in 817, and Roman Constitution in 824. The goal of these decrees was to ensure the election of popes who were favored by the Carolingian and to prevent the election of popes who might be disloyal to the empire.

The Roman Constitution is a charter issued by agreement between Louis and Pope Eugenius II in 824 AD. The aim of this pact was to control the Papal States and subjugate them to the Carolingian Empire. The Charter stipulated that the Carolingian Emperor would supervise papal elections and establish a joint authority in Rome with the Pope. This charter marked an important step in the direction of imperial control over the Papal States.

During the 9th century, the popes and Roman nobles sought to liberate themselves from the control of the Carolingian Empire and the restrictions imposed on them by the Roman Constitution. Several factors contributed to this liberation, including: The Islamic threat to Italy, which threatened the city of Rome itself in the mid-9th century, The collapse of the Carolingian Empire, which weakened the control of the emperor over the popes and Roman nobles and the desire of the Roman nobles to liberate themselves from the restrictions of the Roman Constitution, which limited their power.

The popes and Roman nobles did not comply with the Roman Constitution during many periods of the 9th century. They were eventually able to liberate themselves from the control of the Carolingian Empire and establish an independent Papal State. This liberation marked a turning point in the history of the papacy. It paved the way for the papacy to become a major political and economic power in Europe, and it contributed to the stability of the Catholic Church in the following centuries.

ملحق (١)

باباوات القرن التاسع وموقفهم من الدستور

البابا	فترة الحكم	تطبيق الدستور الروماني	السبب
ليو الثالث	٧٩٥م- ٨١٦م	قبل صدور الدستور	تحالف مع الإمبراطور شارلمان عام ٨٠٠م؛ ليحميه من النبلاء الرومان.
ستيفن الرابع	٨١٦- ٨١٧م	قبل صدور الدستور	ذهب إلى روما للاعتذار من تتويجه دون الحصول على الموافقة.
باسكال الأول	٨١٧- ٨٢٤م	قبل صدور الدستور	اعتذر للإمبراطور عن تتويجه دون الحصول على الموافقة.
أوجينيوس الثاني	٨٢٤- ٨٢٧م	أسهم في إصدار الدستور	أقسم على الولاء للإمبراطور.
فالنتين	٨٢٧م	تم تطبيق الدستور	شارك النبلاء الرومان في الانتخاب، مما يدل على الالتزام بالدستور.
جريجوري الرابع	٨٢٧- ٨٤٤م	تم تطبيق الدستور	تم تأخير تكريسه حوالي ستة أشهر للحصول على الموافقة الإمبراطورية. ربما كان لظهور الخطر الإسلامي دورٌ كبيرٌ في ذلك.
سرجيوس الثاني	٨٤٤- ٨٤٧	كرس قبل الحصول على الموافقة	بداية رغبة النبلاء الرومان في التحرر من قيود الدستور الروماني.
ليو الرابع	٨٤٧- ٨٥٥م	كرس قبل الحصول على الموافقة	بسبب الخطر الإسلامي على روما ٨٤٦م، ورغبة البابوية والإمبراطورية في توحيد جهودهم ضد المسلمين.
بنديكت الثالث	٨٥٥- ٨٥٨م	حصل على الموافقة بعد صراع مع اناستاسيوس	نجح الرومان في إرغام الحزب الإمبراطوري على الاعتراف به والتخلي عن أناستاسيوس.
نيقولاس الأول	٨٥٨- ٨٦٧م	تم تطبيق الدستور	أشرف الإمبراطور لأول مرة على الانتخابات بنفسه، ونجح في تكريسه رغم معارضة رجال الدين الرومان.

هادريان الثاني	٨٦٧- ٨٧٢م	تم تطبيق الدستور	تم تكريسه بعد أن أشاد الإمبراطور باختيار الرومان له.
حنا الثامن	٨٧٢- ٨٨٢م	تم تطبيق الدستور	حصل على الموافقة الإمبراطورية لأنه كان صديقًا للإمبراطور.
مارينوس الأول	٨٨٢- ٨٨٤م	لم يتم تطبيق الدستور	أول أسقف يتم انتخابه بابا لروما، بالمخالفة لقوانين الكنيسة.
هادريان الثالث	٨٨٤- ٨٨٥م	لم يتم تطبيق الدستور	توج دون الحصول على الموافقة بسبب الخطر الإسلامي، وانهيار الإمبراطورية.
ستيفن الخامس	٨٨٥- ٨٩١م	لم يتم تطبيق الدستور	شهد عهده آخر محاولة للكارولنجيين لاستعادة الدستور الروماني، ولكن نجح البابا في تهدئة الإمبراطور.
فورموزوس	٨٩١- ٨٩٦م	لم يتم تطبيق الدستور	نهاية الدستور الروماني عمليًا، لأنه أحد أعضاء الحزب الألماني الساعي للقضاء على النفوذ الكارولنجي.
بونيفاس السادس	٨٩٦م	لم يتم تطبيق الدستور	لم يكن للحاكم الروماني في روما دورٌ في الانتخابات.
ستيفن السادس	٨٩٦- ٨٩٧م	لم يتم تطبيق الدستور	هروب الحاكم الألماني لروما، خوفًا من انتقام الحزب البابوي.
رومانوس الثاني	٨٩٧م	لم يتم تطبيق الدستور	سيطرة الفصائل السياسية على روما وعدم مشاركة السلطات العلمانية في الانتخابات البابوية.
ثيودور	٨٩٧م	لم يتم تطبيق الدستور	سيطرة الفصائل السياسية على روما وعدم مشاركة السلطات العلمانية في الانتخابات البابوية.

حنا التاسع	٨٩٧– ٩٠٠م	لم يتم تطبيق الدستور	حدث صراع بينه وبين سرجيوس الثالث، ونجح في السيطرة على التاج البابوية دون تدخل السلطة العلمانية.

يمكننا أن نرى من خلال الجدول أن البابوات التزموا بالدستور الروماني أكثر خلال النصف الأول من القرن التاسع الميلادي مقارنة بالنصف الثاني من القرن نفسه، وبالتحديد خلال الربع الأخير من القرن، الذي شهد سقوط الإمبراطورية الكارولنجية، وتحررت فيه البابوية من قيود الدستور الروماني.

ولعل ضعف السلطة الإمبراطورية بعد سقوط الإمبراطورية الكارولنجية من ناحية، ودعم النبلاء الرومان للبابوات في حركتهم نحو الاستقلال، وذلك لرغبة النبلاء في التخلص من السيطرة الإمبراطورية على روما من ناحية أخرى، جعل البابوات أقل خوفًا من التدخل الإمبراطوري في شؤونهم. وقد أدى هذا التحول في التزام الباباوات بالدستور الروماني إلى تأسيس دولة بابوية مستقلة أصبحت قوة سياسية واقتصادية مهمة في أوروبا لمدة قرنين متلاحقين.

كان جميع الباباوات الذين تولوا العرش البابوي خلال القرن التاسع الميلادي رومان الجنسية، يعملون في الإدارة البابوية قبل تولي العرش البابوية، تنفيذًا لمرسوم ٧٦٩م الذي سعى لإنهاء النفوذ البيزنطي في روما، من خلال منع اليونانيين من تولي العرش البابوي.

شهد القرن التاسع الميلادي انتخابات بابوية مزدوجة، حيث انتخب أكثر من بابا واحد في الوقت نفسه، وكان هذا بسبب الصراع بين النبلاء الرومان والإمبراطورية الكارولنجية على السيطرة على البابوية. وفي بعض الحالات نجح النبلاء الرومان في فرض مرشحيهم على العامة، كما حدث في انتخاب سرجيوس الثاني، ونجحوا في حالات أخرى، في فرض مرشحيهم على الإمبراطورية الكارولنجية، كما حدث في انتخاب بنديكت الثالث.